

تأليف

عبد ربه

ابي اسحاق ابراهيم آل يوسف اطفيش الجزائري

لطف الله به

١٣٤٢ — ١٩٢٣

المطبعة السلفية - ومكتبتها
لصاحبيها : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان



الاهداء

من عادة الكاتبين إهداء كتبهم لعزيز لديهم إما اعترافاً له بالفضل ، وإما أداء لبعض حقه . ولما لقطب الائمة مجتهد أوانه شيخنا عمنا محمد بن يوسف اطفيش من الايادى علينا ، وعلى يده الكريمة اقتبسنا من نور العلم واغترفنا من يم العرفان ، أهدى كتابى هذا الى روحه الزكية الخالدة في روضات الجنات قياماً ببعض الواجب . أسكنه الله بحبوحة الفردوس في الروح والريحان ، ونفع المسلمين بتآليفه

ابراهيم اطفيش

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نحمدك يا من شرحت صدورنا بنور الايمان والتوفيق ، وأرشدتنا الى سبيل النجاة من الحيرة والضيق . وملأت قلوبنا اخلاصاً للدين ، فكان أكبر باعث الى إحيائه بخدمة العلم واحياء سيرة سيدالعالمين ، رغم كيد الكائدين ومماكسة الخائنين . حمداً يكون لنا نوراً يسعى بين أيدينا يوم ينكشف الغطاء عن مساوي المفسدين . ونصلي ونسلم على أشرف المخلوقات ، مطهر النفوس من وسن [1] الجمود والغباوة ، سيدنا محمد الذي من تمسك بهديه سعد في الدارين . وآله وصحبه الذين تحملوا كل اذاية وعبء [2] في سبيل تأييد الحق المبين

﴿ وبعد ﴾ فان الله عز شأنه خلق الانسان في أحسن تقويم ، وكرمه بالعقل ، ولولاه لكان في مستوى البهيمة . فتح له سبيلي السعادتين ، وهداه النجدين . فمنه من كان بلداً طيباً

(١) الوسن الغشيان من نتن ريح البئر يقال وسن وأسن (٢) ثقل

يخرج نباته باذن ربه ومنه من خبث لايخرج الا نكدا ؛ فصيره الله أسفل سافلين بسوء كسبه ، يتيه في هوجل [١] الجهالة بفساد اختياره ، ينقدح الشك في فؤاده لأول [٢] وهلة سمع الحق ، ويسعى وراء كل ناعق يصيح بباطل أو بشر أو بضر

اغتمضت [٣] عيون كثير من الناس عن الواجب ، فعدلوا عن المنهج السوي ، وانصرفت قلوبهم عن مراقبة الحق ، ورعاية الصدق . فتراهم يتمثلون في مظهر خلاب [٤] ، وشكل يظنون انه مستطاب . ويغدون ويروحون في هيئة يخالونها أبهج [٥] الصفات وفي كل ذلك لا يناقشون انفسهم الحساب ، ولا يوجهون اليها ادنى عتاب . فيأتون بضروب [٦] من الأعمال لا تتفق مع الحق والصواب بحال من الاحوال ، يخادعون بها ذوي البساطة لغاية في نفوسهم ؛ وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون

اهملوا اعمال الفكر ، فاستعصت عليهم الحقائق ، واستحكم فيهم الهوى . فطلبوا ارضاء نفوسهم ، وتركوها هائمة [٧] ، فاستبهمت [٨] سبيل الهدى . فأصبحوا عقبة وعثرة [٩] أمام التقدم القومي والحياة العلمية والعملية . فكلما احسوا بانتعاش

(١) الأرض التي لم تكن لها أعلام ومعالم (٢) الوهلة أول الشيء
(٣) صارت غامضة (٤) خداع . يقال برق خلاب أي لا مطر فيه
(٥) أحسنها (٦) أنواع (٧) متحيرة (٨) اشتبه عليها بحيث لا تهتدي اليه من شدة التحير (٩) كبوة

الافكار ، أو نهوض في مضمار المنافسة ، أو حركة في ميادين الاقتصاد ، أو ركوب الاخطار للارتقاء الى أوج [1] الشرف ؛ ملأوا الفضاء لجباً [2] والارجاء صخباً [3] ، ونادوا بالويل واستهولوا الأمر ، وذهبت أفكارهم طرائق قدداً [4] . ذلك لأنهم اعتادوا الخمول [5] ، وألفوا الذل والصغار والذبول [6] . وشبوا وشابوا على الجهل بأسباب الحياة وأحوال الأمم وماضي التاريخ ، فحسبوا أن كل ما يخالف مألوفهم فهو فساد يطرأ على مستواهم [7] ، وخلل في الاعتقاد ، وسبب خراب البلاد

على انهم لا ينفكون في الغالب يفصمون [8] عرى الامة ، وينقضون [9] ما أبرمه الراسخون ومن أوتوا الحكمة ، مما يصلح الهيئة الاجتماعية ، وتحسن به عاقبة الأمة ، وينتظم به شملها . فيا للعجب من هؤلاء ! يتدخلون فيما لا يعرفون له كنها [10] ، ولا يستطيعون له تحملا . ويفتاتون على كل عمل ، بمجرد دعوى الزعامة ، ظانين انها مقدسة ولو بدون التأهيل والاستعداد عرفاناً وأخلاقاً ، ويتحكمون في نوازل بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان . فتى وجهت اليهم أسهم الانتقاد

---

(١) العلو أو الأعلى (٢) الجلبة والصياح . والارجاء النواحي
(٣) كثرة الاصوات (٤) طرائق جمع طريقة والقدد بالكسر القطع
(٥) الستر - الصغار الحقارة (٦) ذبل البقل ذوي (٧) وسطهم
(٨) يقطعون . (٩) النقض ضد الابرام (١٠) حقيقة

أو حلو العتاب ليستقيموا أو يبعدوا عن مظان الريب وينقلعوا من عوامل الفساد قاموا وقعدوا وأغاروا [١] وانجدوا

فتباً [٢] لتلك النفوس الضارة ، والاحلام الطائشة ، والافكار التائهة . منشأ الخلاف ، ومبعث النزاع والتشاكس [٣] ، وآلة اقصام [٤] التضامن والتكافل ، وفك التحام القلوب بين الافراد والجموع

يتذرّع [٥] هؤلاء باسم الدين والحق الى غايات شخصية وأمنية حقيرة ، بشره [٦] زائد ، ونهم جسيم ، واغراق [٧] في المكر يعبثون بالواجبات والاعراض ، وحرية الافراد والعائلات ، بدون شفقة ولا رحمة . اضف الى ذلك استمدادهم من السلطة الاستبدادية ، هنالك لا ترى ديناً ولا رحمة ولا رعاية حق ولا عاقبة ولا رضوخاً [٨] للموعظة الحسنة ولا تبكيتاً [٩] للنفس ولا خوف نكاية [١٠] العدو ولا غيرها من المهلكات ، الاهواء [١١] تتلاعب بها الاهواء ، وادمغة دبت [١٢] فيها خمرة الحميه ، ونفوساً لعبت بها نشوة [١٣] الانتقام

(١) الغور المكان المنخفض والنجد المرتفع (٢) التب الهلاك

(٣) المشاجرة (٤) الانفصام الانفكاك في المعاني ومقابله الانقصام في المحسوسات (٥) يتوسل (٦) غلبة الحرص ، والنهم شدة شهوة الشيء وأصلها في الطعام (٧) المبالغة فيه (٨) السكون والخضوع (٩) تقريعاً (١٠) ايقاع (١١) جمع هوى . الأول المراد به ميول للنفس والثاني النفس (١٢) مشت (١٣) السكر

صفات تذكرنا الدور الجاهلي وما كان عليه العرب وغيرهم من الأمم الهمجية، صفات لا يشاهدها المرء في النفوس المتشبعة بالتعاليم الاسلامية ، من الآداب الكاملة والوجدان الطاهر والتهذيب الديني والاعتصام بحبل الله المتين

ان نهضات الشعوب وحركات الاحزاب الصالحة مبنية على قوة الارادة في الافراد وصدق العزمة التي لا تثنيها عقبات ولا يفلها (١) حسام ولا تنصدع بمعارضة الرجميين ، فبمقدار ما تكون الارادة فيهم من السمو والخير تكون النتيجة وحسن المآل

ومن المعلوم أن احزاب الاصلاح لا تسلم من المعارضين الذين يألفون الخمول ويأوون الى كهوف الانزواء (٢) طلباً للسلامة في زعمهم واتقاء من الحوادث ، فكيف بالذين يستهترون (٣) ويلجون (٤) ابواباً طلباً للرياسة أو التذاذاً بالخلاف ، في حين انهم لا يدركون من يقظة الافكار ولا من انتباه النفوس السامية شيئاً ما الا الجريان على قاعدة « خالف تعرف » كي يصلوا الى بعض ما سولت لهم انفسهم من الظهور الفارغ

ولقد كنا طوينا كشحاً وضربنا صفحاً (٥) عن هذا

---

(١) الفل الثلم (٢) الاستتار (٣) يتبعون هواهم فلا يبالون بما يفعلون
(٤) الولوج الدخول (٥) كناية عن الاعراض وصفح ترك التثريب

الموضوع ردحا[١] من الزمن ، رغم ما نشاهده من استهتار الذين جبلت نفوسهم على حب الشقاق والعناد ورفع لواء النفاق والفساد ، تنزهاً عن أن نتنازل اليهم ، وترفعاً عن أن تكون في مستواهم وتجافيا[٢] لمكافحة من لا تأثير له بالحق ، اذ هي عناء ليس يشبهه عناء . لذا قال المتنبي :

« ومن البلية عذل من لا يرعوى[٣]

عن غيه وخطـاب من لا يفهم »

وددنا والله أن نطوى صحيفته طيا لا نشر بعده . لكن ابى اولئك الاشقياء الا أن يلجوا في طغيانهم يعمهون[٤] وحسبوا اعراضنا ضعفاً ووهناً[٥] ، ولم يزالوا منهمكين في مقاومة الحق ومناوأة النهضه العلمية ، والطعن في الاعراض ، واختلاق ما عساهم أن يلصقوه بأولئك الذين أخلصوا دينهم لله ، وعملوا بالواجب الذي ينشده كل غيور ، ويسعى اليه كل حصيف[٦] ولا بدع أن بادرنا الى حماية الحق وصون العرض من افك الخراصين[٧] ودفع شكوك ربما تحوم حول القاصرين

ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

أصيب وطننا منذ أمد ببعض الحائرين ، يجرون اليه الخزى .

(١) سعة (٢) اعراضاً (٣) يرجع . والغي الباطل (٤) عمه تردد في الامر وتحير . والطغيان تجاوز الحد ، ولج تمادى على العناد (٥) عطف مرادف (٦) العاقل السديد الرأي (٧) الكاذبون

وكم نزلت به من النكبات ، وتحمل من ويلات تنوء (١) بها الراسيات وكثيراً مارزح تحت كلكل (٢) الاضطهاد والاعتساف. وطن لم يزل ينكب بما جره فسدة ابنائه الخائنين العاقين المسلوبي الايمان ولسان حاله يقول :

وردت عليّ وقائع وشدائد   وردت على الايام صرف ليالي

هكذا تشقى أوطان بأبناء جهلة نحس مستمر ، وتسعد بأبناء بررة عارفين كيف تجلب السعادة اليها . ولقد صدق والله القائل :

اني اطلعت على البلاد وجدتها

تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

قاتل الله الجمود والغباوة ، يذران نفوسا اعضاء مشلولة (٣) في الهيئة الاجتماعية

تصدى أشخاص منذ أن قامت فئة لخدمة العلم والدين والاخذ بيد الشبيبة الناهضـة لمقاومتها بالطعن وايجاد العقبات والصد عن سبيل العلوم . تارة بالسعاية وحينا بالشتائم على صحف لاخلاق ولا ذمة لذويها ، وطوراً بالتغرير والمكر

تولى كبرهم شخص حلقات عمره ضروب من الفتن والاهواء . كتب رسالة فوزعت بين الناس مجاناً ، حشر فيها هجر القول

(١) تثقل وتميل . ورزح سقط اعياء وهزالا   (٢) الصدر . والاضطهاد القهر . والاعتساف الظلم والجور   (٣) يبست وفقدت قوتها

وأباطيل وأدلة محمولة على ما لم يأذن به الله وأحكاماً لم ينزل بها سلطاناً ، مزج فيها بين الغث (١) والسمين والرث (٢) بالقشيب (٣) والصفو بالكدر والغرر (٤) بالغرر.

(كمحتطب في الليل مهما يجد يضم)

انا لنربأ بأنفسنا — لو لا وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر — أن ننفق جزءاً من حياتنا في جانب هؤلاء الذين خذلهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم. ولعمر الحق ان نسبة تلك الرسالة الى من له ذرة من الايمان أو مسكة من العقل عار وخزي. لو لا الواجب لقلنا « سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » ولقلنا ما قاله المعري :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً

تجاهلت حتى ظن أني جاهل

واذا لخصنا ذلك الاملاء في عشرة فصول هي محوره ومدار هوج (٥) المملي المغرور.

أولاً — الشباب المتعلم في معزل عن تعلم دينهم

ثانياً — ذم العلوم الفلسفية مطلقا ، وذم العلوم العصرية

(١) الهزال (٢) الخلق (٣) الجديد (٤) الهلاك والغش . والغرر جمع غرة مستعار للشيء المستحسن (٥) الطيش والتسرع

ثالثاً — ذم الاسلوب العصرى فى التعليم

رابعاً — ذم الفصاحة والبلاغة

خامساً — مدح الخمول والذل والاستكانة

سادساً — زعمه انه سالك فى تعليمه الاسلوب النبوى

سابعاً — الحكم على رجال النهضة بالضلال

ثامناً — دعوى الاعراض عن السلف الصالح وذم مسالكهم وجحود فضائلهم

تاسعاً — زعم تحليل بعض صور الربا والبيوع المنفسخة

عاشراً — اتهام الرجال العاملين بالغاية الشخصية المادية

ثم دعم اباطيله بدعاوى فارغة ليست في شيء من الصواب، كما تراه ان شاء الله ونبينه بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة[1]، زيادة على ماهو واضح السقوط بطبيعته عند كل حاذق من مزاعمه ومقاصده الذاتية التى لم تعزب عن البله فضلا عن النبلاء النبهاء

(١) مسلكنا فى نقض مابناه ايراد آيات أو أحاديث أو ماقاله جها بذة العلم أو ذكر نظريات مسلمة بدهياً بحيث يدرك المطالع لدى المقارنة سقوط مبدأه كليا وتنكشف له مخبآته التى أبداها فى صورة حق لكن أراد به باطلا لا الاعتناء بعبارة منحطة وتمطق مؤلم للوهم الا اضطراراً لدافع . فتنبه

(اذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر)

فها نحن شارعون بحول الله وقوته في كشف ذلك الضباب بشمس الحق وغسل هاتيك الادران [١] بوابل الصواب ، مراعين آداب التأليف مجتنبين البذاءة [٢] التى جاء بها ، مقتصرين على الدليل والبرهان ، تاركين تيار الاحساس جانبا حتى لايكون عملنا شخصيا

(واني لتنهاني خلائق اربع
عن الفحش [٣] فيها للكريم روادع)
(حياء واسلام وشيب وعفة
وما المرء الا ماحبته [٤] الطبائع)



(١) الاوساخ (٢) السفه وفحش المنطق (٣) مجاوزة الحد وسيء القول أو القبيح مطلقا (٤) اعطته

مقدمة

ان - العاقل متى تأمل في حالة العالم وما ظهر من تقدم الامم وتنافسها في ميادين العلوم ومناهج الحياة والعز والعظمة واستثمار خيرات الارض والاخذ بنواصي الامم البسيطة وغير ذلك من كل وصف يدل على التمكن والسلطان - أدرك مقدار فوز العلم على الجهل وانه هو أس السعاده والفلاح ، وتبين له اتساع دائرة العلوم والتطور العجيب في بني الانسان منذ أفاض الاسلام على البرية بنور العرفان وسعادة الايمان

كان جهابذة [1] الاسلام وفطاحله [2] عند سواده وانتشاره في ارجاء الارض وفرار الشرك امامه فرار الظلام عند انفلاق الصبح مجتهدين في تدوين العلم واستنباط الفنون ونشر العرفان بكل مافي وسعهم الى أن أصبحت الامة الاسلامية زاهرة مغتبطة ، تعنو [3] لارادتها الامم الاخرى وتقتبس [4] من انوارها وتأنس لجوارها . ولم يأل [5] جهداً اولئك الفحول في تنقيح ما سبق للامم الغابرة [6] من العلوم حتى لايكون للقصور لديهم مجال ،

(١) جمع جهبذ النقاد الخبير (٢) جمع فطحل المعظم
(٣) تخضع (٤) تستمد علومها (٥) يترك (٦) الماضية

واضافوا ما استخلصوه من لبها الى ما بين أيديهم ، حرصاً على اعلاء الاسلام ودفعاً لكل تفوّق في الاخصام . وسهروا على حياة الامة العلمية والعملية كي لا تخضع للأعداء ولا تجنح الى الخنوع [١] — وهما ضروريان بحكم القسر على الجاهل ولدينا ما يقنع — فتصبح ذليلة بعد العز صاغرة بعد العظمة . كل هذا بعد ان اشتغلت في ابان ظهور الاسلام بمبعث ﴿سيد العالمين﴾ عليه الصلاة والسلام بالفتح ونشر الدين ومحو الوثنية وتطهير البشر من عبودية الاوهام وخضوعه لسلطان الجهل والاستبداد

واذا قارنا بين هذا العصر والقرون الوسطى وما آل اليه كثير من الامم من الانحطاط والهمجية والسذاجة [٢] والجهل العميق تبين الفرق بينهما من حيث انتشار العلم وظهور النبغاء وتأثير النبوغ [٣] في البيئات [٤] وأن الحياة بتعميم المعارف بين الطبقات على اختلافها في الجنس والاستعداد. على أننا نشاهد

(١) الخضوع ٥ للامة الاسلامية أطوار يمكن تلخيصها في ثلاثة :
١ ـ طور النشر للدين والفتح والاستمداد من انوار النبوة ، ٢ ـ التدوين واستنباط الفنون وزهور مدنية الاسلام ، ٣ ـ التدلي وظهور أعداء الاسلام على أهله وليس هذا محل الاسباب

(٢) البساطة (٣) الظهور واتساع المعلومات (٤) الاوساط التي يعيش فيها المرء

اليوم شدة الحاجة الى الشيء التافه [١] «كالابرة مثلا» المجلوب من الخارج ، وما ذلك الا لخلونا من المعارف واعراضنا عنها وجهلنا مقدار منفعتها . ويعتقد البسيط الفكر أن الاجنبي أولى بالحياة والابتكار والتنعم والنفوذ ؛ وان ذلك مخصوص به اختصاصاً أزلياً ؛ والواجب على المسلم أن يستسلم للحكم القسريّ والقضاء الإلاهي الذى لا يعقب ، وانه في سجنه [٢] — جهلاً منه بوجوب تعاطي الاسباب [٣] — الى غير ذلك من كل ما يصرف عن الواجب الديني والحيوى ظنا منه ان ذلك يخفف عنه وطأة الشقاء ونكبة العناء . ومادرى انه الشقاء بعينه والبلاء الماحق الذي أباد كثيراً من الاجيال

اعلم ان العاقل لا يغتر بما يكتبه المتعجرف [٤] الذى لم يتجاوز فكره عتبتي داره ولم يعرف من مسالك الحياة ولوازمها — التي هي مزرعة الآخرة — الا ما يعرفه الداجن [٥] الذي يغدو الى

(١) الحقير (٢) يستدل كثير بقوله عليه الصلاة والسلام «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» على بؤس ونكد حياة المؤمن وبحبوحة نعيم الكافر جهلا بالحقيقة . والحديث الشريف معناه الدنيا كسجن المؤمن لما يتوره من مشق التكاليف وكره نفسه على أدائها وقمعها عن الشهوات ؛ والكافر كأنه في جنته لانها مباح نعيمه ، ولا يناله ما ينال المسلم من تكاليف العبادات والحبس عن الشهوات. والادلة على ما ذكرنا لا تحصى (٣) ومن الادلة قوله تعالى «ابتغوا من فضل الله — فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» وقوله عم «اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا وقوله «تغدوا وتروح.» الحديث (٤) المعجرفة خرق في العمل واقدام في هوج (٥) الحيوان الذي يألف البيوت

الكلأ [١] ويروح الى مربضه [٢] ولقدران على قلبه سوء كسبه فكان عليه غشاوة وسجافا [٣] فنبا [٤] عن ان يكون مهبط الحكمة وينبوع الهداية ومقر التوفيق . لذلك طفق يهذي هذيان المحموم ويقبل ويدبر كالهائم المكلوم [٥]. يصور من الخيال ماعن [٦] له ويفرض من اللوازم ما هو وفق اهوائه فيجعلها مناط [٧] احكامه شأن الذين زين لهم الشيطان اعمالهم ، فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون

جهل القاعدة الكلية « الحكم فرع التصور » فحكم على الفنون الحيوية بالفساد ولم يتصور منها شيئا ولا عرف لها نتيجة . وثب الى حكم الترجيح اغتراراً وجهلا بالمآل فانكب انكبابا ذلك بان طعن في العلوم الكونية التي ورد القرآن الحكيم بها والحث عليها اذهي من الوسائل العظيمة الى تقوية اليقين برسوخ الايمان والاهتداء الى منافع خلقها الله لنا وجعلها آيات تدل على كمال قدرته الباهرة وحكمته العجيبة الزاهرة

واليك المسلك الذي توخاه الناهضون في تثقيف الشببة [٨] ونبذا من فوائد تلك العلوم الجليلة وبيان مرتبتها من بين العلوم حتى يتضح السبيل أمام السالك البصير

(١) المرعى (٢) مأوى الغنم. وران غلب (٣) ستراً (٤) بعد
(٥) المجروح (٦) عرض (٧) متعلق (٨) جمع شاب

ان المسلك الذى انتهجه المخلصون في تربية الشباب العلمى هو تنمية الشعور الدينى وتقويته ، وايجاد الملكات[1] الاسلامية والبواعث على التمسك بالدين بالوجوه المقنعة والبيانات المؤثرة واظهار اسراره ومزاياه وبيان أن لا حياة للمسلم الا بدينه ولا سعادة الا بالتمسك باهداب تربيته الفاضلة والتحلي بأخلاقه الطاهرة التي بها يكون المرء فائزاً في الحال والمآل ، كالصدق والاخلاص والامانة والوفاء والعفة والغيرة واضرابها من الصفات الحميدة التي جاءت بها الشريعة الطاهرة المطهرة واشتهر بها الاسلاف الصالحون رضوان الله عليهم

هذا المسلك الاجمالي الواجب سلوكه والذي نحن دائبون[2] فيه لايجاد رجال الحياة والعمل في المستقبل ولو تعامى عن الحق المغرضون وأنكر النور العامون . وانكارهم لهذه الحقائق الناصعة[3] وتصويرها بصور شائنة[4] ليس بعجيب ممن خذلهم الله ولا بحادث ، بل هؤلاء في كل عصر ، ومني بهم كل حزب

وكيف لا ندأب على ما ذكرناه ونحن نعلم علم اليقين أن الأمة الاسلامية ما بلغت الى أن صارت فاقدة لعزها العريق ومجدها الباذخ[5] ونعمة الاسلام الا بترك ذلك السبيل السوي والانسلاخ

---

(١) جمع ملكة وهى الكيفية الراسخة فى النفس بالتكرر (٢) سائرون
(٣) الواضحة (٤) معيبة (٥) العالي

من الصبغة (١) الالهية واجتراح الموبقات التي جاءت الحنيفية السمحاء لتطهير البشر منها

واذا كان المسلم جاهلاً بدينه فكيف يتسنى له الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه اللذين لا يكون المرء مسلماً بمعنى الكلمة الا بهما ؟ وبذلك تطلب السعادة الأبدية في الحياة السرمدية في الروح (٢) والريحان ورضوان الله الأكبر

الق بنظرة الى العالم تبصر مباراة (٣) الشعوب لبعضها بعضاً كل في احياء شعائره وتاريخه وتقوية مركزه بين الأمم دينياً وسياسياً ومادياً وأدبياً . كل منهم يرى سعادته وحياته في حرس مباديه ، وشقاوته ومحوه من صحيفة الوجود في اهمالها . أفلا يكون لنا في ذلك أعظم عبرة ؟ أم يتأتى لشعب احراز مركزه بالسذاجة والجهل لا بقوة الموزعة بين الافراد كل منهم على حسب استعداده الفطري ؟ اللهم انا نريد بأنفسنا خيراً وغيرنا يريد بنا سوءاً فمدنا بعنايتك

نريد المحافظة على مبادئنا (٤) واحياء ما اندرس منها ، وعليها نحيي ونموت . تلك المبادىء الصادقة التي استمات في سبيلها رجال جهابذة وأعلام كرام . وايم الله حياتها بفنون العلم والاجتهاد لا

(١) الصبغة الملة والدين والفطرة (٢) الرحمة . والريحان النعيم

(٣) معارضة (٤) تطلق المبادىء على مايمتاز به شعب كالدين واللغة والتاريخ وعلى ما به حياته

بالبله [١] والاستكانة ، بالعمل والعزيمة الثابتة لا بالاماني والعزيمة الخائرة [٢]، بالصدق والاعتزاز لا بالخيانة والنفاق . قال ﷺ صلى الله عليه وسلم « تحروا [٣] الصدق وان رأيتم فيه الهلكة »

نريد مجاراة [٤] العاملين الذين هم أكبر مثال محسوس في الشعوب، لا الاندماج [٥] في غيرنا أو التفصي [٦] من المبادىء الصحيحة الممتزجة بدمائنا . ومن الغلط الفادح [٧] بل من الموت الزؤام [٨] أن يرى البصير عناصر تجاوره تعمل بجد ونشاط وعزم وهو صامت لا يبدي حراكا

كفى ما مضى من الاغفال والاهمال يا قوم وحسبنا ما حل من نكبات الجهل وانتبهوا من ذلك السكر المديد . لقد ضل من انخدع لمغالطة الجامدين وهلك من خشع لوساوس اليائسين . وقد أمرنا الله تعالى أن نكون مع الصادقين في الأقوال والأفعال في قوله سبحانه « يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » فلا تغرنكم كلمات يكتبها من لازلتم تشاهدون منهم أعمال الجناية والنكاية بقومهم ؛ وكيف ما كانت في نظركم حقاً فقد أريد به باطل ، ولئن انخدعنا مرة فلا نخدع أخرى « المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين »

(١) الغفلة (٢) الضعيفة (٣) اقصدوا (٤) الجري معهم اي فيما هو خير (٥) الدخول (٦) التخلص (٧) الثقيل (٨) الكريه

ان التلاميذ ليسوا في معزل عن تعليم ما يلزمهم من علمي التوحيد والشريعة كما يدعي المعارضون ، وهم يعلمون أنهم لكاذبون . بل يأخذون من هذه الواجبات ما يترتب عليهم كأن يأخذوا دروساً في علم التوحيد ودروساً في الفقه [1] في كل أسبوع مع اليقظة التامة في مراقبة البالغ منهم عند التباسه باداء الواجبات واقناعهم بأنهم خلقوا للعمل العائد عليهم بالفلاح العاجل والآجل الا وهو تمسكهم بالدين الحنيف بمعنى الكلمة قولاً وفعلاً بطريقة لا يحلم بها الاجلاف سهلة التناول واضحة البيان يفهمون بها ما هي شريعة الله ويدركون ما هي العبادة زيادة على ما يلقى اليهم من تاريخ الاسلام وحياة الأئمة ، لما سنذكر من فوائد هذا الفن التي لا ينبغي أن تهمل . وعبثاً نحاول أن نبرهن على ما هو ساطع كالغزالة [2] رأد الضحى

(أيعمى العالمون عن الضياء ؟)

ومما أوضحناه تعلم أن المسلك الذي انتهجناه [3] مع هذه النهضة المباركة في تثقيف أذهان التلاميذ وتهذيب أخلاقهم هو

---

(١) يلقى لهم درس يوميا في الايام الطوال اما في الفقه واما في التوحيد واما في تاريخ الأئمة (سلم العامة) و (جامع اركان الاسلام) و (نور التوحيد) وامثالها

(٢) الشمس وقت الضحى (٣) انتهج اتخذ نهجا اي طريقا واضحا

الصراط السوي والمسلك الحميد ، كما سماه المعارض نقلاً عن المجلة [1] ، وهو أرقى ما ينبغي أن يتبع حيث لم يفقد فيه الطلبة ما يجب من وظائف الدين قولاً وعملاً واعتقاداً ولا ما تتحلى به نفوسهم من التهذيب والأخلاق الفاضلة والشيم الجليلة والشهامة والاباء وعزة النفس التي بها يترفع المرء عن الدناءة ومواقف التهم وما ينمي فيهم القوى العقلية والشعور الديني

وظهر لما ذكرنا آثار اعترف بها أهل المعرفة ، وائن امتعضت بها النفوس الموبوءة التي تتضرر بالمحامد والصالحات فذاك شاهد قاطع اذ لا تزداد العيون الرمداء بالنور الا عموشة . وأكبر شهادة على فوزنا ما نقله عن مجلة (نور الاسلام) هذا المعارض جاءت منه عفواً تأييداً لما رغم ارادته اذذلك نفس مانحن دائبون فيه ان لم نقل بعضه والحمد لله

أما التهوش ومحاولة التذرع الى تقويض مشيد الحق وما أبرمه ذوو الاخلاص بانتحال عناوين واهية ومزاعم باطلة واعتبارات ساقطة ودعوى صرف الناشئة عن علوم الدين عملاً

(١) ومن العجب التجاء هذا المخذول الى الاستدلال بالمجلات وادراج المقالات في الصحف ، وهو بالامس كان يحكم عليها بانها من لهو الحديث ، وربما أفتى بحرمة الاشتراك فيها اوالاشتغال بمطالعتها . هي الاغراض تفعل في النفوس الثائرة ما تشاء . نسأله العصمة من الخذلان والخطل

(وشر مايكسب الانسان مايصم)

واعتقاداً الى علوم الفلسفة التي لا وجود لها في هـذه الاقطار فضلاً عن أن تزاول في المدارس الابتدائية فلا يستفز ذوي الالباب ولا يخفى مغزاه عن ملتمسي الصواب ولا يزيد الظالمين الا خسارا. ولعمر الحق ان هذا الشخص واضرابه لا يفهمون للفلسفة معنى اذا كان هذا مبلغ ادراكهم ونهاية تصورهم. على أن الفلسفة الصحيحة حرم منها معاهد التعليم الاسلامي بهذه الارجاء والحال انها من أجلّ الفنون التي توصل الانسان الى المدارك السامية والوقوف على الحقائق والاسرار الكونية ، اذ أمرنا الله بتدبرها والبحث عن منافعها ، لأن الانسان لا يتوصل الى شيء من ذلك بدون النظر الصحيح والبحث الصادق

واذا أمعن ذو الادراك السامي النظر في الكتاب العزيز ، وما احتوى عليه من علوم الأولين والآخرين، وجد من المعاني والآيات الجاذبة للفكر الى اكتشاف غوامضها واستطلاع اسرارها والاهتداء الى حكمتها ما يجعله مندهشاً وقد امتلك الاعجاب حسه وأخذ بتلابيبه من كل ما يبعث النفس الى التنقيب على مكنوناتها وابراز دررها والاستضاءة بأنوارها التي لا يزال العالم في سنائها مجداً

الكلام على الفلسفة الحقة

لا نعني بالفلسفة ما هو عبارة عن سوء العقيدة في الدين ومحاربته والالحاد فيه ـ معاذ الله ـ كما يتوهمه الذين لا يفقهون . وانما الفلسفة الصحيحة المطلوبة هي المعرفة بقول بعضهم « هي عبارة عن البحث عن حقائق الاشياء على ما هي عليه في نفس الامر على قدر الاستطاعة البشرية » وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً »

وعلى هذا يكون موضوع الفلسفة هو الاشياء الظاهرة للعيان أو التي يمكن تصورها في الاذهان وتكون الغاية منها التشرف بالكمالات في العاجل والفوز بالسعادة في الآجل ، وعلى هذا الشكل تتفق مع الدين ولا تنافيه . والفلسفة والحكمة ما صدقهما واحد . والحكمة في اللغة العلم مع العمل وتطلق على العدل ووضع الشيء في موضعه وصواب الأمر وسداده وافعال الله كذلك لانه يتصرف بمقتضى الملك فيفعل مايشاء وافق غرض العباد أم لا . وتطلق أيضاً على القرءان قال تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة » أي القرءان . وعلى النبوءة قال تعالى « وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة » وعلى الفهم والعلم قال

تعالى « ولقد آتينا لقمان الحكمة » وفي عرف العلماء هي استعمال النفس الانسانية لاقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة الحاثة على الافعال الفاضلة قدر طاقتها

نقول انتصاراً للحق وافادة لمريدي التحصيل قد قسم العلماء الفلسفة الى أقسام منها ما يخص العبادات فسموه بالفلسفة الالهية . ومنها ما يخص ادارة الأحكام فسموه بالفلسفة السياسية . وما يخص الأعمال البشرية من صناعة وزراعة وتجارة وما أشبهها فسموه بالفلسفة المدنية . وما يخص النفس من حيث التهذيب فسموه بفلسفة الاخلاق

وقسمها الامام الجطالي [1] رضي الله عنه في (القناطر) على

---

(١) نسبة الى جطال قرية من قرى الجبل بطرابلس الغرب . وهو المحقق الجليل الآخذ من كل فن القدح المعلى الفيلسوف الماهر صاحب التصانيف المفيدة والتحقيقات المنيفة الدالة على براعته وتضلعه الشيخ اسماعيل بن موسى الجطالي رحمه الله

من تآليفه هذا الكتاب المشتمل على ثلاثة اجزاء الجامع لفلسفة الاخلاق والفنون الشرعية باسلوب فائق وترتيب رائق مع الاختصار غير المخل . وهو من أهم الكتب في تربية النفس وتحليتها بالكمالات الانسانية وتطهيرها من الرذائل وقبائح الاخلاق . وله (القواعد) في التوحيد والفقه وشيء من الحقوق ، وهو من انفس الكتب المعتمدة عند اصحابنا . وله (كتاب الفرائض والحساب والجبر) . و (كتاب المناسك) وغيرها . وكان رضي الله عنه مشهورا بالفضل والورع والتقى والجد والاجتهاد • يتبين للمطالع من غضون عباراته مقدار نبوغه وغوصه في علوم الآداب وعلوم الدين وتأثيرها الدال على اخلاصه . وبالجملة كان من رجال العلم والعمل الذين تجاب اليهم الاقطار وتشد اليهم الرحال توفي رحمه الله في جزيرة جربة وروضته معروفة تزار وتلتمس فيها الاجابة

طريقة من جعل المنطق من فنونها لا من مبادئها الى أربعة أقسام أيضاً حسب ما جرى عليه الاولون وهي اما ان يكون البحث عن الخطوط والسطوح والاشكال بانواعها عملياً وتعليماً فهو الهندسة. واما البحث عن وجه الدليل وشروطه ووجوه الحد وشروطه فهو المنطق. قال رحمه الله وصناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الانسان نحو الصواب والحق في كل ما يمكن الغلط فيه من جميع المعقولات وذلك ان في المعقولات أشياء لا يغلط العقل فيها أصلا وهي التي يجد الانسان نفسه كأنها فطرت على معرفتها مثل الكل أعظم من الجزء وكل ثلاث فهو عدد فرد واشباه ذلك. واشياء يمكن الغلط فيها وهي التي يحتاج الانسان في ادراكها الى تفكر وقياس واستدلال وفي هذه يضطر الذي يلتمس الوقوف على الحق اليقين في مطلوباته كلها الى قوانين ﴿المنطق﴾ اه

واما البحث عن صفات البارى عز وعلا وكمالاته فهو ﴿الالهيات﴾

واما البحث عن صفات الاجسام وخواصها وتراكيبها وكيفية استحالتها وتغيرها وتحليلها فهو ﴿علم الطبيعيات﴾ (١) اه

(١) لو تأملت أيها القارىء الكريم كيف تنجر من هذا الفن الفوائد العظيمة التي ارتقى بها فن الطب في هذه العصور مع فن الكيمياء الذي هو فن تحليل الاجسام واستخراج منافعها ومعرفة مضارها حتى اصبحت طريقة مقاومة الامراض ـ الا النادر ـ من الميسور على البشر. والطب من أهم العلوم

وعلى هذه الطريقة تدريس فن الطبيعة في المدارس النظامية كما نبينه باذنه سبحانه في موضعه . وقسم العلامة نور الدين (١) السالمي رحمه الله في (شرح المشارق) الفنون باعتبار الأحكام الخمسة فقال : فمنها مختلف في اباحته وعدمها . الأول المنطق الفلسفي والصحيح الاباحة ولا حجة للمانع . وما ذكروه من التعليل في تحريمه من أن اليهود والنصارى يتعلمونه فليس بشيء نعم ويلزم عليه تحريم النحو والصرف لان أولئك يتعلمونه ويلزمهم تحريم تعليم القرآن اذا ثبت أن أولئك يتعلمونه ولا خفاء في بطلان هذا

وأقواها نفعا تتبارى فيه الشعوب المتمدنة ، فكم رفع هذا الفن العظيم عن الانسان مضض الآلام ونكبات الاسقام فاصبح في نعمة الصحة يرفل في برد العافية قائما بجميع الواجبات الدينية والدنيوية ، بعد ما كان اذا اصيب بألم لازمه لفقدان علم الطب ، وربما لا ينفك عنه الى ان يفارق الحياة ، ضحية الجهل

(١) هو المجتهد الهمام اشهر علماء جزيرة العرب بطل عمان نور الدين ابو محمد عبدالله بن حميد السالمي العماني رحمه الله . أحد الاعلام الفخام صاحب التآليف الجليلة والمتون المفيدة منها (متن المشارق) وهو اهم المتون في التوحيد كتب عليه شرحين طويل ومختصر الاول جمع شتات مسائل الاصول وحقق مسائل الدين وعقيدة اهل الاستقامة ببيان شاف كاف . و(حاشية) جميلة على الجامع الصحيح في الحديث و (مدارج الكمال) نظم مختصر الخصال وشرحه (معارج الآمال) في ستة عشر جزءا على ما بلغني واظنه لم يتم و(طلعة الشمس) الفية في اصول الفقه وشرحها شرحا عظيم الفائدة في جزأين من أهم ما كتب في الفن واجمعه وغيرها من المتون والمؤلفات كان أكبر ركن في استقلال عمان تحت امام من النير الاجنبي توفي رحمه الله في ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ بعد ان ترك له ذكر رجال التاريخ العاطر ورجالا من افذاذ العلم والسياسة

القيل . وما ذكروه من التعليل بالاشفاق على الضعيف بأن يضل بضلالات الفلاسفة ويعتقد اعتقادهم فهو تعليل لا يوجب التحريم لذلك العلم لكن نفس الضلالة و نفس الاعتقاد هو المحرم لا العلم .

فانت ترى ما يقوله الأئمة الاعلام حملة الشريعة في هذا الفن الجليل الذي تجحح المغرور بذمه افتئاتا وغباوة اعتماداً على قول ابن السبكي اذ وافق هواه وهو لا ينهض حجة

وكان من أساطين الفلاسفة المحقق المجتهد الأمام الكامل شمس الدين أبو يعقوب الوارجلاني [1] رضي الله عنه ويشهد بذلك

(١) أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني رضي الله عنه احد الائمة المجتهدين البارعين الذين جابوا الاقطار وسبروا أغوار الامم وبحثوا في حقائق كتاب الله وفسروه . وتفسيره رحمه الله لم ينسج على منواله ذلك العصر مع انه عصر التدوين والنبوغ . ذكر انه في سبعين جزءا جمع فيه من العلوم مالم يذكره غيره ، غير انه تلاشى في تلك الحروب الداخلية التي منيت بها الامة الاسلامية حينا من الدهر و(فتوح المغرب)و(ترجمة رجال الاباضية)، ذكر لنا احد الاساتذة انه اطلع عليها في كلية بأوروبا وأظن بألمانيا وكتاب (الدليل في أصول الدين) وغيرها من التآليف المنبئة عن مقدار تضلعه في العلوم وكان من كبار المنجمين قرأ بقرطبة ونبغ فيها في علوم اللسان والحديث والتنجيم والتفسير والفلسفة وغيرها من العلوم وعاد الى وطنه وهو من العلماء العظماء والفلاسفة الاعلام الذين هم خصب القلوب ونور العقول وكان معدودا عند علماء أوروبا في تراجم الرحل الافريقيين الذين يشار اليهم بالبنان رحل الى السودان الى خط الاستواء لمشاهدة تلك الامم والاطلاع على احواله واكتشاف ذلك الاقليم الغميض والبحث عن اعتدال الليل والنهار ولا جرم انه العالم الوحيد الذى عنى بهذا الاكتشاف في القرن السادس مما يدلنا على علو كعبه وسعة عقله واعتنائه

تأليفه مرج البحرين الجامع بين المنطق الفلسفي وعلمي العدد والهندسة وهو من أهم الكتب الاسلامية المترجمة الى اللغات الاجنبية على ما بلغنا لعظم فائدته عند الأمم الحية ومهجور لدينا بعد أن عني به المحققون وشرحوه منهم البدر الشماخي [1]

المسلمين بالاكتشاف في القرون الاولى عكس ما يتشدق به الاوربيون من اشتغالهم بالاكتشاف واجلاء الحقائق دون المسلمين وهم لم يعتنوا بذلك الا منذ اربعة قرون تقريبا ولم يكتشفوا السراب الذي يعرفه المسلمون ويقرأونه في القرآن الا في القرن التاسع عشر ولم يكتشفوا حقيقة خط الاستواء الا حوالي القرن السابع عشر وهكذا كان الفضل في ابانة الحقائق لعلماء المسلمين

وكان رحمه الله كيماويا واعترف من سائر مناهل الفنون وفاز بالقسط الاوفر فحاز قصب السبق بين أقرانه توفي رضي الله عنه واسكنه بحبوحة الفردوس في أواسط القرن السادس بمسقط رأسه جزاه الله عن العلم والاسلام أحسن جزاء ونفعنا بتآليفه

(١) هو العلامة المحقق نادرة زمانه المزير الذوقة بدر الدين الشيخ احمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي رضى الله عنه

احد المؤلفين في كثير من الفنون والذين ابرزوا نتائج قرائحهم للقاصي والداني وكشفوا غوامض المشكلات وأزاحوا الشبهات . يعلم من طالع كتبه مقدار تضلعه وما اوتيه من الحكمة وسعة المعلومات

من تآليفه (شرحه على مختصره للعدل والانصاف) في أصول الفقه و (شرحه لمتن العقيدة) وهو شرح لطيف واسكنه غاية في النفاسة وكتاب (السير) جمع فيه تراجم الائمة وتواريخهم وكثيراً من العلماء الذين أضاؤا الشريعة بنور المعارف فكانوا خير قادة . من خصائصه في بابه أنه جمع كثيراً من فتاويهم واستنباطاتهم ومنه يستفيد الانسان سيرة الاصحاب المحكمة التي هي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة وخيار التابعين رضي الله عنهم

رحمه الله وضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني [1] شرحه شرحا وافياً كشف فيه عن غوامضه وأظهر سر الفلسفة الصحيحة وسر العالم العلوي ونوه بفحول هذا الفن . وايم الله ان هذا الشرح

والعائلة الثمينية من أعرق العائلات حسبا ونسبا قد ذكر أن نسبهم يتصل بنبي الله هود عليه السلام وهي معروفة بالعلم وعظماء الرجال، منهم دين المجتهد الجليل صاحب الكرامات الجلية الشيخ عامر أحد المدونين والمجتهد العلامة الافخم الشيخ سعيد بن قاسم رحمه الله نزيل مصر ونائب الدولة التونسية اذ ذاك بالقاهرة كان من الاكابر الجامعين بين الدين والدنيا والعلم والسياسة حتى كان الفيصل الوحيد عند خديوي مصر توفيق باشا وأبا حسن معضلاته ومن أشد العظماء على عرابي باشا في ترك الفتنة وتحذيره سوء مغبتها وله في تلك الظروف الحرجة موقف هابه الخاص والعام . ومات ولم يعترف باستيلاء فرنسا على تونس ، ولا سلم لها بالنيابة، وكان قوي النظر بعيد الغور شديد العارضة قوي الارادة

ولم تزل هذه الفئة الجليلة تبدي لنا من خيرة الرجال وكرام الفحول بعد العائلة البارونية المغربية ما ترك لها في القلوب المكان السامي وصارت محل احترام واجلال في الاصحاب الا أن أهلها الآن تفرقوا وهجروا العلم الى الاشتغال بالدنيا وانقرض أولئك الذين أجلهم التاريخ وحفظ لهم الآثار الحميدة ولله عاقبة الامور أرسل الله فرداً منهم يجدد شبابها

(١) هو علامة المعقول والمنقول نابغة عصره المحقق ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم بن عبدالعزيز بن عبدالله الثميني بن عبدالعزيز بن عبد الله ابن عبد العزيز بن موسى بن محمد بن عبدالعزيز بن يحيى بن موسى المصعبي نسبة اليسجني بلداً مات رحمة الله عليه وهو ابن نيف وتسعين سنة يوم السبت عشية اول العشرة الوسطى من رجب عام ١٢٢٣ كان رحمه الله من العظماء العاملين وقدوة السالكين . له من التصانيف (النيل) وهو أحسن متن دون في الفقه الاسلامي ومكارم الاخلاق، و(تنضم الموجين على مرج البحرين) و(معالم الدين)

من النفاسة بمكان الا انه لم يتمه رحمه الله . ولا غرو فقد أبان لنا هذا العلم الذي يهتدى به قيمة فن الفلسفة في كتابه معالم الدين وفتح لنا المهيع[1] الذي لايضل من سلكه ولا يغتاله[2] ضمسل ولاهيم[3]

قال المصنف والشارح « وفائدة تدوين المنطق وتعلمه كما قال الحفيد التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر وهو معنى قول المصنف ايضاح الحق بالقياس الصحيح كما سيأتي المؤيد أي المقوى بالبرهان الصحيح ليكون المرء على ثقة

في اصول الدين جمع فيه من الالباب مايغني ذوي الالباب و (مختصر المنهاج) احد الكتب المعتمدة في الفقه والتوحيد و (الورد البسام في رياض الاحكام) أحسن كتاب أخرج للناس في أحكام القضاء والمعاملات ومن سوء الحظ لم ينتبه أحد المترفين الى ابرازه في عالم المطبوعات مع ما اليه من الحاجة في اكثر الاحكام و (عقد الجواهر مختصر القناطر) و (المصباح) مختصر ابى مسألة و الالواح و (مختصر حاشية المسند) ومختصر أصول الارضين سماه (تكملة النيل) و (كتاب حقوق الازواج) وهو اعظم كتاب جمع من النظام العائلي والحقوق الزوجية مالا يفتقر الى سواه و (شرحا الرائية والنونية) وغيرها وله رحمه الله حسن التعبير وارقى اسلوب التأليف حتى كل شيخه رضي الله عنه يكنى عنه بالمرقي السابقة . تولى الرياسة العامة وسلك بالشعب سبيل السعادة وقام بالوعظ والارشاد وتطهير النفوس الجامحة من داء الجهل والمقت وضرب على كل يد عابثة بالهيئة الاجتماعية الى ان لزم ربعه العامر لما استولى عليه الهرم حتى اتاه اليقين فانتقل الى رضوان الله والامة عنه راضية آسفة

(١) الطريق الواسع الواضح (٢) اغتاله قتله بغتة . والضمسل قسم الظاء والسين اللص (٣) التحير وشدة المعاش

ويقين من نفسه لانه يثلج الصدور وبصيرة من أمره في علمه ويعقبه في حجته السرور ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة . الى أن قال المصنف وبفائدة المنطق حاج الله المشركين في القرآن وقرعهم ببراهينه »

وأورد الامام رسائل اخوان الصفا ونوه بشأنها تنويها وهي أصول الفلسفة وعمدتها وجمعت من الفنون التي ذمها المفتون . أبعد هذا يقام لضوضاء [1] الجهلاء وزن ولولا خشية الاطالة لاوردنا لك ما يبهر العقول . ولنكتف بمصة من وشل [2]

فاذا تأملت بعين بصيرتك ـ وقد اتخذت الانصاف رائدك [3] ونبذت عنك غلاف الجمود ـ في كل ما ألممنا به مما كتبه هؤلاء المتبحرون في علم الشريعة أدركت سذاجة [4] فكرة ذلك المسكين وتهاتره بدون روية [5] ولا بصيرة واندفاعه بباعث الشهوات الخسيسة ما يجب عليه أن يندب [6] حظه ويبكي على نبوه [7] عن مقعد أهل النبل [8] وتلكده [9] بذوي الحماقة والجهل

ولأهل العصر توسع في معنى الفلسفة ولذا أطلقوها على

(١) كثرة الاصوات (٢) قليل من كثير وقد يطلق الوشل على القليل وهو ضد (٣) رسولك والاصل رسول لطلب الكلا (٤) البساطة
(٥) فكر (٦) يندب يبكي. والحظ النصيب (٧) نبا السيف عن مكانه اخطأ المحز (٨) العقل والنجابة والذكاء والحذق (٩) التزاقه ولزومه لهم

النتائج الفكرية العلمية وكل ما يعتمد على البحث الفكري فقالوا فلسفة الآداب وفلسفة العربية كما يقال فقه المسئلة . وكانت في الأصل هي علم الحكمة والمنطق مفتاحها ودليل الصواب ومقوم العقل وموسع دائرة الفكر وذلك متى كان ملكة للانسان تترتب عليه حركات فكره وهذا يحصل بكثرة التمرين والاستعمال

وقد أطال ضياء الدين التميمي في اطرائه [١] في الشرح نقلاً عن شرح المطالع ، قال بعد كلام طويل . أصبح العلماء الراسخون الذين تتلألأ [٢] في ظلم الليالي أنوار قرائحهم الوقادة ، واستنارت على صفحات الايام آثار خواطرهم النقادة ، يحكمون بوجوب معرفته ويفرطون في اطرائه ومدحه ، حتى أن الشيخ أبا علي بن سينا اذا حاول التنبيه على جلالة قواعده وفضلها قال المنطق لكم العون على ادراك العلوم كلها ، وأبا نصر الفارابي ذلك الفيلسوف الذي لم يظفر بمثله في تحقيق المعاني وتشييد المباني ، وترقي أمره الى حيث لقب بالمعلم الثاني ؛ رآه كالعقد النفيس ، واذا قاسه بالعلوم الأخرى أحله منها محل الرئيس . الخ

فارجع الى الكتاب فان فيه ما يثلج [٣] الفؤاد ، ويميط [٤] الأذى عن طريق المراد . وبهذا النزر [٥] اليسير يظهر للبصير

(١) مدحه (٢) تشرق (٣) يطمنه ويسكنه (٤) أزال . والاذى الضرر (٥) القليل . تأمل ما أوردنا في هذه الصفحة مع ما نقله المخذول عن ابن السبكي تدرك الحق

فائدة الفلسفة الحقة التي تأسف لفقدانها من مدارسنا وفقدان أساطينها المنورة للفكر ، الكاشفة لحقائق الموجودات وأحوالها بقدر الطاقة البشرية

والعجب من الذين اذا سمعوا الابحاث العقلية أو علومها امتعضت [1] نفوسهم واقشعرت جلودهم وتقطبت [2] وجوههم وهم يشاهدون الكتب العالية الاسلامية ، كمعالم الدين لضياء الدين والمواقف للسيد وغيرها كثير مشحونة بها ؛ وبها تدفع الشبه الزائغة ويقرر الحق بما لا مزيد عليه وتظهر القوة الفكرية وأسرار النفوس الشريفة ونتائج القرائح . وهل المراد بقوله سبحانه وتعالى « ان في خلق السموات والأرض » الآية وقوله « ألم ينظروا في ملكوت السموات والأرض » الآية في كثير من أمثالها الا جذب العقول الى البحث فيها وتدبرها حتى تقف على كمال قدرة الباري جل شأنه وآياته العجيبة وحكمته الباهرة فتعترف له بالوحدانية وتخضع لعزته وجبروته وصمدانيته : سبحانه من إله عجزت عن أن تناله الافهام ، وتاهت في جماله واتقان صنعه الاحلام ، لا إله الا هو له الحمد في الأولى والاخرة ، وله الحكم واليه ترجعون

وعرّف بعض " الفلسفة بالتشبه بالخالق بحسب الطاقة البشرية

(١) غضب وتقطب (٢) زوى ما بين عينيه وكلح

لتحصيل السعادة الابدية واستدلوا لهم بقوله صلى الله عليه وسلم « تخلقوا بأخلاق الله » أي تشبهوا به في الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات . وقد رأيت ما ذكرناه لك وهو الحق الذي مابعده الا ما شاء الله

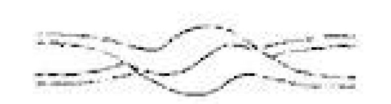
وتوسع المتأخرون في مباحث كثير من فنون الفلسفة ولا سيما فن الطبيعيات فسموا بعضاً منها باسماء مخصوصة ، كعلم الجيولوجيا [1] وعلم الفسيولوجيا [2] وعلم الهستولوجيا [3] وعلم البكتريولجيا [4] وغيرها كثير . واعلم أن البحث في الطبيعيات يضاهي بحث الطبيب عن جسم الانسان واعضائه الرئيسية والخادمة واسباب استحالة مزاجه ، فكما ليس من شرط الدين انكار علم الطب فليس من شرطه انكار ذلك العلم [5] وأما مازعمه أهل مذهب النشوء والارتقاء من إن الانسان متناسل من القرد وانما صار الى درجته بحكم النشوء والارتقاء فكلام سخيف ساقط صار الآن بين العقلاء ضحكة وهزءا ، وكذا القائلون بمذهب الاشتقاق . وليس كتابنا محل البسط فمثل هذه لاتحوم حول أهل القرآن الا من أضله الله (ومن يضلل الله فلا هادي له)

(١) طبقات الارض (٢) وظائف الاعضاء (٣) التشريح الدقيق
(٤) الميكروبات او الجراثيم (٥) بقي في حفظي اني رأيت للشافعي مانصه : العلم على قسمين علم الابدان وعلم الاديان فعلم الابدان مقدم على علم الاديان

فالمسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن الطبيعة مسخرة لله لا تعمل بنفسها استقلالا بل التأثير لمن فطرها (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وأنه سبحانه قدر نجاح المسببات بتعاطي الاسباب فهذا هو السر في ازدياد ايمان المؤمن ورسوخه لانه كلما تجلت له لطيفة تيقن أنها من دقائق صنع الله الذي أتقن كل شيء سبحانه هو الواحد القهار

ومن الناس من يبحث في عالم الطبيعة وعجائب الحيوانات والنباتات والخوض في علم التشريح فرأوا فيها من عجائب صنع الله وبدائع حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف بالقادر الحكيم المطلع على غايات الامور

وقد أعرب لى أحد اصدقائنا من العلماء الاجلاء بالقاهرة انه ما عرف الله من نفسه ورسخ ايمانه الا عند بحثه في النبات وادراكه عجائب ما أودع الله فيه من بدائع حكمته (وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)



الكلام في الفنون الحديثة (١)

لاخفاء في أن العلوم نوعان مقاصد ووسائل كما تنقسم الى فرض عين وفرض كفاية وأن قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » شامل للفرضين والنوعين وان ال في العلم للجنس كما اثبته المحققون ولا وجه للتخصيص بعلوم الدين

ولا اخال أن مسلما على وجه البسيطة يستخف بفن من الفنون ، سواء أكان من الفنون الدينية أم الحيوية بل ولو من المحرمة ؛ للقاعدة المقررة « يعرف السم ليتقى » وقولهم « كل علم ردىء فالجهل اردأ منه »

وقد استخرج الآن كثير من الفنون خصت بتآليف على حدة وأدخلت في الجامعات الكبرى في العالم رسمياً وما تجاسر فرد من العلماء على نكران شيء منها (مع حرية الانتقاد) وفي الامة الاسلامية بقية من أصحاب الجمود ينعقون

ولا جرم أننا في زمن شديد المحن كثير الفتن جلبت فيه أوربا على الشرق بخيلها ورجلها وهم من كل حدب ينسلون حيثما

(١) لانسلم اطلاق الحديثة أو العصرية على التاريخ والهندسة والطب والجغرافية لما سنراه عن الامام شمس الدين وهو من ائمة القرن السادس كما تقدم في ترجمته

أهمل المسلمون موجبات الدنيا والسيادة وهجروا العلوم وارتطموا في امواج الفتن والتفرق واستفحل فيهم داء التخاذل والتدابر وعموا عن قوله عز شأنه «كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون» وأقبل الناس على الدنيا واغتر الغالب (ان لم نقل الا النادر) بزخاريف المدنية الغربيـة الخلابة ، ونادروا أن ما يبثه المستعمرون بين الشرقيين جراثيم وسموم يحاكمون بها الدين الاسلامي دين الحياة والسعادة وزاعموا التمسك به جامدون يعتذرون بما لا يجديهم نفعا وهم يعلمون أن العلم هو الذي رفع أولئك والجهل حط هؤلاء

هلكت الأمة الاسلامية بترك سنة الله في الكون واهمال البحث عن واجب الحياة وموجب الفلاح ، وظن كثير ممن يعدون انفسهم في زمرة العلماء أن الجمود والخمول والاستسلام أمام الهاجم هو الحق فهلكوا وأهلكوا . حسبوا أن مجرد الانتساب الى العلم يستنزل الحقائق الى أدمغتهم ، ويستحقون الاجلال ـ الذي يتهافتون عليه تهافت الذباب على جرح الدابة ـ ويستوجبون التكريم وقبول الحكم والترجيح . جهلوا أن الايمان ليس بمجرد التحلي ولا الدين بالتمني وانما هما ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال

(وما كل ذي تاج ولابس جبة   على زي ذي علم لعلم بصاحب)
(وما كل سيف ذا الفقار مهندا   وماكل رمح عاملاً في الترائب)

شقيت أمة ابتليت بهؤلاء، وسعدت التي هبت الى العلم والعمل للدين والدنيا والبحث عن الحقائق والتمسك بالاسلام الذي اعترف بفضله محاربوه وجهله المنتسبون اليه (فالمبادىء لا تعتز الا بنصرائها) وهم يدعون أنهم على منهج السلف (معاذالله) مؤسسي المجد الذي حفظه التاريخ وغفل عنه الجاهلون بأسباب حياة الأمم

ومما لا خلاف فيه بين العقلاء العارفين أن الدين هو أساس السعادة وما يستوجب من العلوم لازمة قطعاً سواء اعينية أم كفائية. وما خالف هذا أولئك الذين هبوا الى تخليص وطنهم من مخالب الجهل واخطار الجمود اذاً لا ريب في تعنت المعارضين ومصارعتهم للحق (من صارع الحق صرع)

اليك ما أسلفنا الوعد به من الالمام بيسير من فوائد العلوم الكونية وغيرها من علوم الحياة مما يزاوله الشباب في المدارس النظامية الاسلامية الحرة مع العلوم الدينية التي ما كان ينبغي للمرء أن يحيد عنها أو يكون خالياً مما لا يسع جهله منها أو يرجو رضاه الله بدون التلبس بمضمونها: فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» وتعاريفها

تزييفاً للشكوك التي اعتورت الأوهام الضعيفة والأفكار القاصرة جنت على أهلها وعلى الدين بما هو براء منه « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين »

فن التاريخ (١)

التاريخ فن دونت فيه أخبار الأمم وحوادثها وسير الملوك ومشاهير الرجال ليطلع العاقل من ذلك على أحوال من سبق من الأمم وأخلاقهم وعاداتهم وسياستهم فيعتبر بما كان لهذه من النتائج الحسنة والسيئة سواء في ذلك الانسان في خاصة نفسه أو مع ابناء جنسه والملك في رعيته والأمة في سائر شؤونها . ذكر الله تعالى في كتبه المقدسة كثيراً من قصص الأولين ليعتبر الناس ويتبصروا في سائر احوالهم فيتبعوا السبيل المستقيم الذي في

(١) فن التاريخ قسمان اثري وهو مايستمد من استكشافات الباحثين عن آثار الامم وهو الاصح لان مايوجد من ذلك اعظم شاهد محسوس به تعرف حال تلك الامة ومبلغها من العلم والحضارة والبأس الخ وروائي ولا يخلو من الحشو والخرافات التي لاوجود لها ، ومن هذا كثير في كتب التاريخ الاسلامي استنادا على الظنيات ، اوموافقة الهوى ، اوثقة بالراوي مع اهمال التحقيق . ومنه اكثر مايرويه غيرنا في الاصحاب تعصباً أو طاعة لهوى أو جهلا بالحقيقة التي لو بحثوا عنها بانصاف وتجرد لشاهدوا روح الاسلام وسيرة افضل الانام ولتبين لهم الواقع من اقتنع بما بين يديه سواء اكان حقاً أم باطلا . ومن ذلك مايعتمده كثير من المفسرين وغيرهم من المؤلفين من الاسرائيليات فصارت ملجأ للجاهدين لايقيهم حرا ولا قرا

سلوكه الفوز والسعادة . فالتاريخ علم نافع لا يجهل قدره الا جامد لا يعرف من أين يستفيد وينمي عقله ويوسع مجال نظره . ولا كيف يصل الى الحقائق ولا يخطيء في اصابة المرمى ولا يغتر بظواهر . ولا كيف يجد السبيل الى معرفة المستقبل المجهول ويملأ نفسه عظة واعتباراً ويعمر قلبه بالوجدان الشريف

أي نعم لا يجهل قدره الا من يجهل ذلك لان تلك هي بعض فوائده وثمراته . وكيف لا ومن المعلوم ان أكثر مايفيد كمال العقل التجارب . والتاريخ هو العلم الذي يعطيك من التجارب كما يكون لمن عاش منذ بدء الدنيا الى اليوم الذي أنت فيه . يمر بك على الامم كانك معهم ويأخذ بيدك الى الممالك حاضرها وباديها حتى كأنك فيها ويشهدك الحوادث والمناظر الغابرة التي حصلت في أكثر من ستة آلاف سنة . ويطلعك على ما لو كنت في زمنه ما استطعت الوصول اليه من دقائق السياسة وما كان يجرى في قصور الملوك . يعطيك علم التاريخ هذا واكثر منه في أقل جزء من الزمن الواقع فيه كل ذلك

للتاريخ فائدة هائلة لا يعرفها الا من قرأ التاريخ أو رأى أعمال وأفكار من قرأه – يرقى الفكر الى درجة عظيمة . ويؤثر في الاخلاق تأثيراً لا يمكن ان يصل اليه الانسان بدونه . ويرقي العقل أكثر مما يتصور – وأقطع شاهد قوله تعالى « أفلم يسيروا

في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها »
وشيء يحضر بين يديك العصور الخالية والأمم البائدة والممالك
السحيقة بأعمالها وعاداتها واخلاقها ومدنيتها وحسناتها وسيئاتها
ويمثل الحوادث بين يديك كلها لتأخذ منها خلاصة المستحسنات
وتبتعد عما عداها لجدير ان تكون له أعظم فائدة . حسبك في
هذا كتاب الله الذي أتى على شيء كثير من تواريخ الأمم وحث
على التأمل في احوال البائد منها لغرض الاعتبار والموعظة (1)

ان التاريخ اتخذه كثير ممن يدعى العلم مع عظم فائدته مهزءاً
ولعبة يا للأسف وبلغ بهم التهاون به الى حد تزهيد النـاس
فيه وهم لا يعلمون من تاريخ الاسلام شيئاً فكيف بتاريخ
المذهب وتاريخ الوطن والائمة وعظماء الدين . والحال ان حياة
الأمة واتصال حاضرها بماضيها متوقف عليـه . والوقوف على
أحوال الأمة الاسلاميـة واطوارها التي تقلبت فيهـا وكيف
تشتتت وتمزقت وتجزأت الى فرق منها الضال والمحق ، كل ذلك
لا يقف عليه الا من عرف التاريخ . وكفاه شرفاً ماتضمن القرآن
الكريم منه ولولاه ما كنا نعرف مثالا، قوم نوح وقوم لوط وقوم
صالح وغيرهم من الاقوام ولا نعرف أعمالهم الخبيثة التي
اجترحوها فاستحقوا بهـا عذاب الله الاليم . قال بعض الأدباء
درس حياة الاجداد يربي أخلاق الاحفاد يصيبون فيها حكمة

(1) خلاصة تاريخ مصر والعلم والعلماء مع بعض تصرف

بالغة وموعظة حسنة والتاريخ يلقن الفكر الجديد وينير الطريف بالتليد

بمطالعة التاريخ يعرف الانسان كيف تسعد الأمم ويسطع نورها في أفق الظهور وكيف تشقى وينكسف ضوؤها ويأفل نجمها فتمسي في الغابرين

يصير بافهمة كانه جاب الاقطار وسبر الأمم فحصلت له ملكة التجارب صاحب علم ودهاء كانه نقب في البلاد ولم تخف عنه أحوال الشعوب غابرها وحاضرها

فن الجغرافية

الجغرافية علم وصف الارض من حيث هيئتها الطبيعية والاقتصادية والسياسية

به تعلم ما احتوت عليه الارض من الامم والاجيال والمدن والجبال والبحار والنباتات والبراكين وانواع الحيوانات التي سخرها الله للانسان زينة ونعمة ودفأ (والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان) آلاء عظيمة خلقها عز شأنه لبني آدم ودلالة على وجوده وكماله وعزته وجلاله

علم يمكنك من معرفة بقاع الارض وجهاتها والاوقات واقسام

الاسلام من غيرها ومقار الأمم والاجيال السالفة حتى اذا وقفت على شيء منها في الكتاب العزيز فانك تكون على بصيرة منه ولا سيما في هذه الظروف التي أصبح الشرق فيها مرتبطاً ببعضه، الافريقي مرتبطاً بالاوربي والعكس وهكذا يحتاج كل الى نتائج الآخر ويستمد كل من الآخر بمواد قطره. ومن القبيح ان يتعاطى الانسان التفسير ولا يعرف من هذه الفنون التي أودعها الله في كتابه شيئاً

الجغرافية دليل السياحة والسياحة رأس النجاح وداعية الكمال واس الفضائل وكم مرة حث القرآن عليها (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب) الآية (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) وامثالها من الآيات الواردة بصيغة التوبيخ والانكار لكننا نحن ما أجهلنا بحاضرنا وبادينا وما أشد تقصيرنا في أداء الواجب

لم لا نعلم الجغرافية ونسير في الأرض ونسافر في طلب المعالي لم لا نتبع سبيل الاسلاف الذين كانوا يسافرون الشهور لمسئلة واحدة من العلم. لم لا نعرف هذا الفن فنعلم مواقع البلاد ونتائجها ونعلم كيف نستوردها لتحصيل الثروة كالاجانب

أليس من العار ان لا نعلم موقع عمان مثلا أو الزنجبار أو الآستانة أو غيرها من المواقع الهامة ونرحل اليها ونجتمع باخواننا

اينما حلوا ، ونزيل سوء التفاهم بين المسلمين حتى يلتئم شعث الاسلام ويرأب صدعه [1]

أصبح هذا الفن يعرفه صغار التلاميذ من أبناء الاجانب والعالم الاسلامي الضايع لا يعرف منه شيئاً . أليس من العار المبين أن يسود الاسلام في الصين حتى يبلغ سبعين مليوناً ولا نعرف عن أحواله شيئاً

والورد لك ما كتبه شمس الدين أبو يعقوب من رسائل اخوان الصفا لتزداد يقيناً بما عليه الجامدون من الاجرام والغباوة وتسفيه الحق حتى لا يلتبس عليك امرهم فتكون من الهالكين . قال رحمه الله :

(الرسالة الخامسة) في جغرافيا يعني صورة الأرض والأقاليم وبيان (بأن الأرض كورية الشكل) بجميع ما عليها من الجبال والبحار والبراري والأنهار والمدن والقرى وكيفية تخطيطها ومسالكها وممالكها . والغرض منها هو التنبية على علة ورود النفس الى هذا العالم والحض على التفكير في هذه الآيات اللاتي في الآفاق لأنفس الغافلين عنها حتى يتبين لهم الحق فيستعدون للرحيل والتزود الى دار الآخرة قبل الممات وفناء العمر وتقارب الأجل وقبل الفوت والندامة [2]

(١) الشعث التفرق . ويرأب يصلح . والصدع الشق (٢) الدليل

الجغرافية هو العلم اللازم لمن يغار على دينه ويهمه انتشاره في بقاع الارض ليعرف ما يمكن نشره فيها ومالا يمكن كما يعرف القس أن اواسط افريقية مثلاً وان صعبت مسالكها كما هو مبين في هذا الفن لكن من السهل نشر المسيحية فيها لأن اهلها متوحشون على غير دين او على دين الوثنية والأكثر تابع لحكومات اجنبية فيأتون افريقية ويتجولون وهم كأهلها في العلم بها واطبائعها قد لا يحتاجون الى دليل ولا يمكن ان يغرر بهم أحد . ولكن من أين يكون لنا هذا ونحن لا نعرف بلاد المسلمين فضلاً عن غيرها (١)

وترى كثيراً من أهل العلم لا يعرفون الحجاز الذي فيه مكان النبي صلى الله عليه وسلم أشرف البقاع وفيه قبلة أربعمائة مليون وهو مهبط الوحي ومبعث الرسالة وينبوع نور الايمان وشعاع الحرية للعالمين ومحل اداء ركن من أركان الدين الذي يشير الى وجوب جمع كلمة المسلمين على اختلافهم واتفاقهم حول راية الاسلام المرفرفة عليهم من حدود (بكين) الى شاطيء الاطلسي ورأس الرجاء الصالح . لا يعرفون هذا المكان المعظم بوجه على اللهم الا بتصور كما يتصورون انياب الاغوال عند ذكر بيت امريء القيس :

(١) العلم والعلماء ، أول سفر في التعاليم الاسلامية

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهل بلغهم ما تحمله افراد من الأوربيين في اكتشاف جزيرة العرب وما ارتكبوه من الحيل حتى أشرفوا على جميع ارجائها ووقفوا معهم على جبل عرفات وأتوا جميع المناسك ثم رجعوا باكتشافهم الى أممهم مملوئي الوطاب

نبغ في الأوربيين من لا يحصون في اكتشاف أحوال القارات والأمم وينابيع الثروة في الارجاء واطلعوا على خفايا البلاد الاسلامية وما تكنه من الكنوز بعد ان كانوا في ظلمات الجهل منغمسين وفي الهمجية متقلبين ، والاسلام في زهرته وخفوق رايات عزه في انحاء المعمورة (اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) كل ذلك بهذا الفن الذي طالما هزأ به الجامدون . ولا يأمنون موطناً الا بعد ان يكونوا على خبرة تامة منه من حيث حدوده وعوارضه الطبيعية وموارده وأحوال سا كنيه

استشكل بعض العلماء كورية الاجرام الفلكية قائلاً أمل هذه الاجرام مسطحة مبسوطة بعضها فوق بعض كفرش مبسوطة كذلك ويؤيده قوله تعالى « وهو الذي مد الارض » قالوا في تفسيرها بسطها طولاً وعرضاً (فأجاب) بعضهم : كون هذه الاجرام كورية الاشكال مما شهد به الحس والارصاد ودل عليه الامارات والعلامات من غير اخلال بما ثبت من القواعد الشرعية

والعقائد الدينية كيف وبعض المسائل الشرعية ينبني عليها كتعدد المشارق والمغارب واختلاف المطالع وسمت القبلة وأوقات الصلاة وانتفاء وقت العشاء في بعض المواضع وغير ذلك

وأما قوله تعالى « وهو الذي مد الارض » فقد قال الامام الرازي في تفسيره ثبت بالدليل ان الارض كرة ولا ينافي ذلك قوله تعالى مد الارض لان جميع الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح . اه

لهذا الفن ارتباط بفن التاريخ وهو عمدة فيه ولا يتسنى لكاتب أو متكلم فيه ان يكتب أو يتكلم ما لم يكن له علم الجغرافيا ، به يأمن الخطأ في الكلام على البلاد والأمم وما بين بعضها والبعض من الروابط ، ولا بد له ان يعرف اقسام الارض وما عليها من الأمم والممالك واحوالها ونسبة بعضها الى بعض كما ان المشتغل بعلم اقسام الارض وتقويم البلدان لا بد ان يكون عارفاً بالتاريخ حتى يستقيم له وصف اقسامها واقاليمها وصفاً صحيحاً والا كانت اعماله سدى وكلامه لغواً [1]

(١) من العلماء من يعد هذه الفنون من العلوم الاجنبية التي لا ينبغي للمؤمن ان يشتغل بها ولا حجة لهم الا انها لم تكن من معلومات اسلافنا وهذا من الاوهام والجمود بمكان . هؤلاء لم يخل منهم عصر فقد كانوا في عصر النبوغ والاستنباط يطعنون في الفنون العربية الحديثة اذ ذاك كالبلاغة والنحو والصرف والشعر كما ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز مع ما في هذه العلوم من حقائق اسرار العربية وابراز اسرار التنزيل ودقائق التأويل

فن الهندسة

هو علم تعرف به المقادير والابعاد والانواع وخواصها . مبادئه واجبة لتقوية العقل وتقويمه وتوسيع دائرته . لقد كان الحكماء السابقون لا يقبلون من التلاميذ الا النابغين في هذا العلم لنفس هذه الحكمة . وأيضاً فان طبيعة الجهل بشيء ما يعلمه بعض الناس يؤدي الى النقص في أعينهم . والعالم من حيث هو عالم ينبغي ان يتأهل لان يكون محترما في أعين سائر الطبقات (ليكون لحكمته تأثير ونفوذ الى القلوب) ولا يكون ذلك الا بالالمام بشيء مما تحتاجه سائر الطبقات . كيف لا يكون من الامور اللازمة تعلم مبادىء الهندسة ولنا غالباً وقفة عند ما ترد في نحو المنطق أمثلة هندسية فلا نكاد نفهم المراد منها .

المعجزة المعقول بلغاء العرب وقد شن غارة شعواء عليهم امام الفن في كتابه وما ذلك منهم الا بما تكنه صدورهم من الحسد لكل من ظهر بفضيلة وهم عنها بعيدون

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالناس اعداء له وخصوم

***

ولع الناس بامتداح القديم ... وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحي ... ورقوا على العظام الرميم

ما اوهى تعليلهم وما اشنع حجتهم على ان عدم تشغل الاسلاف بتلك الفنون لا يدل على بطلانها ومنابذتها للدين كما قدمنا . بل قد كتب فيها فطاحل من المسلمين كما رأيت وتراه كالامام ابي يعقوب والامام الغزالي وابن رشد والرازي وسعد الدين واضرابهم . قاتل الله الحسد والجمود

بل هجرت دراسة كتب الحكمة لوجود مسائل هندسية وطبعية لا يدركها من لم يكن له المام بفهمها واذا تعاطى تدريسها فاذا هو كسالك في الدجى أو داخل لجيا لا يدري السباحة

من الكمال الواجب ان يتعلم العلماء وطلاب العلم شيئاً من الهندسة بل شيئاً من كل علم على قدر ما تسمح به الظروف لا أقول ان الهندسة كالحساب ولا كالجغرافية ولا كالتاريخ ولكن أقول انها كمال وان منها قدراً لازماً (١)

ولنذكر لك ما ينثلج به صدرك ويتنور به ذهنك من كلام الامام وضياء الدين ممزوجاً قالا « ورأس العلم أى كل علم البرهان المنطقي وغيره من العلوم فروعه لانه آلة وخادم لجميعها والبرهان من حيثما دار يتعلق بثلاثة علوم أولها العدد وثانيها (الهندسة) وثالثها المنطق » . (ضياء الدين) مرتبة المنطق ان يقرأ بعد تهذيب الاخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية من الهندسة والحساب

(الامام) اعلم أن الهندسة من العلوم الضرورية كل ما شهدت به فهو حق عندالله تعالى واعلم ان العدد تكييف الازمنة والهندسة تكييف الامكنة والدنيا والآخرة هما الازمنة والهندسة هي معرفة المقادير والابعاد والانواع وخواص تلك

(١) من كتاب العلم والعلماء أول سفر في التعاليم الاسلامية ببعض تصرف

الانواع . ومبدأ هذا العلم من النقطة التي هي رأس الخط . والمقادير ثلاثة أنواع : هي الخطوط والسطوح والاجسام وهي الهندسة . وتقدير كل صانع في أول ابتدائه في صناعته هو الهندسة ـ ولدفع ما عساه يورد قال : فالمتعلم لها انما يتعلم تفصيل تلك القواعد المذكورة في جبلة عقله أي اجمالا . واعلم أن العلوم العقلية الضرورية ثلاثة : المنطق و(الهندسة) والعدد . ثم قال اعلم ان الله تعالى خلق ظروف الزمان وظروف المكان فلن يستقيم لخلق وجود الا بهما وفيهما ، والحال التي تجري على أهل الصين والهند الخ . هي الحال التي تجري على أهل السموات والعرش والكرسي والموجود الممكن (دون الموجود الواجب الوجود) سبحان مقدر الامور وجعل الامكنة بخلاف ذلك فارتبط العدد بالازمنة وارتبطت الهندسة بالامكنة قال تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » فجعل الرب تعالى العدد حاكماً على كل شيء منعد وعلى تفاصيله . الى أن قال : وجعل الهندسة حاكمة على الامكنة ومنها نقتبس عنها اه [1] . انظر الرسالة الثانية والسادسة من اخوان الصفا في الدليل والبرهان أيضاً

(١) شرح مرج البحرين . والدليل والبرهان . من هذا يتبين لك هجوم المتطفلين على موائد العلماء

ولهذا الفن ارتباط بعدة فنون كلها تستمد منه كفنون الفلك والميقات والمساحة والصنائع والجغرافية وغيرها. ولا نريد الا الاختصار في هذه العجالة. ولولاه لرفعنا القناع عن حقائق لهذا العلم وغيره من العلوم المفيدة في الحياة افادة عظيمة ورافعة للنفس الى مقعد صدق عند مليك مقتدر. وان فسح الله في العمر فسنكتب فيها ما يسر به أرباب الوجدان والسعادة الروحية بحوله وقوته سبحانه ما أعظم شأنه وأكبر حكمته

فليكن ما أوردناه انموذجاً (١) صالحاً للنبيل (٢) ولباباً يستغنى به عن القشور التي لا تجديه (٣) وخير مثال الى تحصيل السعادة فان العلوم أنوار لا يبعد عنها الا من كان غير موفق «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها»؟

علم الطبيعة

علم الطبيعة. علم يبحث فيه عن معرفة الظواهر الطبيعية للاجسام باعتبار كونها كتلا أي بدون ان يحصل تغير في تركيبها. وبه تتعين النواميس التي بواسطتها تتفاعل الاجسام

وقولنا باعتبار كونها كتلا مخرج لعلم الكيمياء فانه علم به

(١) مثال الشيء وهو بضم الهمزة وليس بلحن ونموذج بفتح النون
(٢) الزكي النجيب ولباب الشيء خالصه (٣) لاتنفعه

تعرف طبيعة العناصر الداخلة في تركيب الاجسام لكونه يبحث فيه عن الاجسام من حيث التحليل والتركيب . ويخرج أيضاً لعلم المواليد الثلاثة (المعدنيات . والنباتات . والحيوانات) فان هذه الثلاثة انما يبحث فيها عن الاشكال والصفات المخصوصة بها وعن كيفية وجودها ان كان على سطح الارض أو في جوفها وعن كيفية نموها وحيويتها لا عن الظواهر التي تحصل بين كتل الاجسام ويخرج أيضاً لعلم الفلك وعلم طبقات الأرض . فالاول وان كان يبحث عن الكواكب وحركاتها وابعادها ونحو ذلك الا ان القواعد التي تستنتج من هذا البحث ليست عامة بخلاف علم الطبيعة

والثاني انما يبحث عن شكل الارض الظاهر ووضع الطبقات المعدنية في جوف الكرة بالنسبة لبعضها وعن تساوي أسطحة الارض واختلاف ميلها وعن تقطع الشواطيء واتجاه تيار الماء وعن وضع الجبال وتكونها ونحو ذلك لا عن الظواهر العامة . فكل ما تيسر لنا ادراكه باحدى الحواس الخمس يسمى مادة . والجسم يطلق على الجزء المحدود منها : فالحجر والشجر والماء والهواء اجسام . وهي كما ترى ثلاثة أنواع (١) يابسة (٢) سائلة (٣) غازية أي بخارية

واختلاف هذه الاحوال الثلاثة ناشيء من اختلاف كمية

الحرارة الموجودة في كل منها فذرات الغاز أشد اضطراباً وحركة لتوفر الحرارة . وأقلها في الجامد حركة وحرارة . وهي متوسطة في السوائل . وبالحرارة يمكن تحويل الجسم من صلابة الى سيولة أو الى غازية

قال بعض المحققين وهذا العلم فضلاً عن كونه لازماً للطبيب والصيدلاني لا بد منه أيضاً في حسن التربية ، فان دراسته تكسب العقل قوة واتقاناً وملكة يحكم بها حكماً جيداً وتصرفاً تاماً . وبالمعارف المكتسبة من هذا العلم نقف اجمالاً على معرفة هيئة السماوات والارض والفراغ والزمن والمادة معرفة تامة وعلى معرفة هذا العالم العجيب الانتظام وبه يمكننا التوصل أيضاً الى معرفة الاسباب والنواميس العامة المفتقر اليها جميع ما تبرزه القدرة الالهية الى حيز الظهور ومعرفة الظواهر التى تحدثها الآلات التي اخترعها الانسان بعقله وبذلك نرتقي الى درجات توصلنا لمعرفة الباري سبحانه اه

وفائدة هذا الفن . أولاً تكميل القوة النظرية بالوقوف على بعض ماأودع الله في هذا العالم البديع من الاسرار فيزداد معرفة بحكمة العليم الحكيم المريد القادر الذي لا تحيط به الأفكار فيقبل عليه بكليته قائلاً « ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار »

ثانياً . الاستمتاع بما ينشأ عنه من الأمور الجمة المنافع التي لها مدخل في كثير من الصنائع[1]

من الغلط الفادح أن يقول عاقل ان هذا الفن يوصل الى الكفر وهو على ما ذكرنا يوصل الى استكشاف آيات الله في الكون وتسخير منافعها وقد أخبر تعالى على سبيل الامتنان والتذكير بنعمه بقوله « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وقوله « وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

فكفر بعض المتعلمين بالمدارس الاوروبية ولاسيما الكنيسية ناشيء عن هجرانهم وعدم تحصيلهم لما لا يسع جهله من الدين فشبوا بين الاجانب الذين يغرسون فيهم سموماً منافية للاسلام وذلك منهم لايقدح في العلم وانما هو جناية عليهم . والعلم نور وهدى ولا يعقل أن مرارة العسل في فم المريض فساد له كلا وانما هو شفاء للناس

ومن الأدلة القاطعة على حث المولى عز شأنه لنا على العمل بسننه في الكائنات قوله عظمت قدرته « ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط

---

(١) الشيخ طاهر الجزائري في (الفوائد الجسام) ، وهو من الكتب النافعة في هذا الفن

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »

فالحديد نزل من كواكب السماء بارادة الله تعالى في الارض وليس هو من أصل مادة الأرض الترابية بل ألقي فيها وأنزل اليها من الكواكب كما تثبت ذلك العلوم الفلكية وعلم طبقات الأرض فقوله تعالى « فيه بأس شديد ومنافع للناس » أي لعمل الآلات المختلفة المستعمل فيها الحديد وهي أكثر من أن يمكن حصرها - وقوة الدفاع عن النفس وللصيد وعمل العدد والآلات الحربية ضد من يعتدي على نظام الله في الأرض والتساعد بني الانسان على كد الحياة واجتياز البحار بأنواع البواخر حربية وتجارية [1] وفي معنى هذا قوله عز من قائل « وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون » وقوله « وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون »

قال أهل هذا الفن : ان الحديد معدن نفيس من أهم المعادن لا يوجد في جسم الأرض على هيئة الانفراد كالذهب أو الفضة أو النحاس ومبدأ استخراجه كان في الغالب من الاحجار التي تتساقط من السماء على سطح الارض المسماة (بأحجار نيازيك) وليس هو نقياً فيها بل مختلط (بالنيكل) وغيره ثم ان تلك

---

(١) فلسفة الاسلام ومدنية القرآن ج الأول ص ٦٧

الأحجار توجد مغطاة بطبقة سوداء لماعة تشبه الورنيش وتحتوي على أنواع متعددة من الصخور وأحياناً يتصاعد منها غاز (الايدرجين) والمركبات الشهيرة المحتوية على كمية وافرة من هذا المعدن . أولاً اكسيد الحديد أي الحديد المغناطيسي . ثانياً كاربونات الحديد . ويوجد مركب آخر وهو (سيسكوى اكسيد الحديد) وأما كبريتور الحديد فيوجد بكثرة في الارض ولكن لا يستعمل لما ينفق في سبيله من العناء والمال والحديد المتصل به رديء

وأكسيد الحديد المغناطيسي يوجد بكثرة في طبقات الأرض العتيقة وله احياناً صفات حسنة وقد يكون جبالا كما في بلاد اسويد ونيرويج

وأما كربونات الحديد فتوجد مبلورة على هيئة عروق في الأرض العتيقة أيضاً وفي بعض الأحيان يجدونه بين طبقات الفحم الحجرى فتتلون باللون الأسود ويعطونه اسم حديد حجر الفحم (١)

فتأمل أيها العاقل الذي يريد الوقوف على اسرار كلام الله الذي أنزله هداية ورحمة جامعا لما فيه صلاح المعاش والمعاد للانسان ، والمسلمون من غفلتهم عنه معرضون (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

(١) الجواهر السنية

ولا بأس ان نذكر هنا بعض ما أورده أبو يعقوب مما له علاقة بالموضوع من ذلك في رسائل اخوان الصفا قال في رسالة الآثار العلوية : الغرض منها هو البيان عن كيفية حوادث الجو وتغييرات الهواء من النار والظلمة والحر والبرد وتصاريف الرياح من البخارات والدخان الصاعد في الهواء من البحار والأنهار وما يكون منهما من الغيوم والضباب والطل والأنداء . والامطار والرعود والبروق والثلوج والبرد والهالات وقوس قزح والشهب وذوات الاذناب وما يشاكلها[1] اه . ثم أورد ما يخص تكوين المعادن والجواهر وعلة اختلاف جواهرها وكيفية تكوينها في الأرض وعن ماهية الطبيعة ومولداتها التي هي (الحيوان) و (النبات) و (المعادن)

وما أورده هذا المجتهد الجليل الذي عرف مكانته أرباب هذه الفنون اليوم شامل لكل الفنون العصرية (كالهندسة) و (الجغرافية) و (الطبيعة) و (الكيمياء) و (التشريح) و (تاريخ الحيوان) و (علم النبات) و (الهيئة) و (علم النفس) و (علم تهذيب الاخلاق) وغيرها الا ان هناك اختلافا في المصطلحات والترتيب وهي الآن اخصر طريقة وأوضح بيانا وأكمل تفصيلا

(١) الدليل والبرهان . اعلم ان هذه الرسائل وضع جماعة من الحكماء لم تعرف اسماؤهم وقد نسج على منوالها جماعة من الحكماء المتأخرين الا انهم لم يأتوا بشيء بالنسبة الى الرسائل الأولى

بهذه الفنون أصبح الانسان يمخر على غوارب عباب الخضم ويسبح في جو السماء ويدخل جوف الارض لاستخراج مكنونات احشائها واستخدم الميكانيكية وسراج الغياهب (الكهرباء) والغازات والسوائل وغيرها من موارد الحياة التي هي من آلاء الله « فبأي آلاء ربكما تكذبان » سبحان بديع السموات والارض القادر المريد

علم الكيمياء

علم باحث عن تحليل الاجسام وتركيبها سواء كانت تلك الاجسام بسيطة أو مركبة . فيكون هـذا العلم باحثا عن كيفية تفاعل الاجزاء العنصرية الدقيقـة المركب منها الجسم في بعضها وعن طبيعة تلك الاجزاء وعن طرق كيفيات تحليل الاجسام ثم تركيبها

تخرج علم الطبيعـة فانه باحث عن النسب بين الاجسام من حيث انها كتل وعن الخواص العامـة للاجسام وعن تفاعلها الميكانيكي في بعضها وعن وسائط ذلك التفاعل

وخرج علم الفلك لأنه انما يبحث عن الاجرام السماوية من حيث حركاتها ودورانها وابعادها وغير ذلك

ففي سنن الكائنات : الكيمياء القديمة كان الغرض منها

معرفة (حجر الفلاسفة) وهو الجوهر الذي اذا وضع على أي معدن يصير ذهبا على زعمهم . ومعرفة (أكسير الحياة) وهو الذي كانوا يظنون أنه يعيد الشيخ شاباً أو أنه يشفي جميع الأمراض

وأما الآن فالغرض من الكيمياء معرفة اصول المركبات وكيفية تركيبها وتحليلها . وهذه الاصول تسمى بالعناصر . وهي كثيرة ولكنها الآن لا تتجاوز الثمانين ؛ ومن أهمها الحديد والنحاس والاكسيجين والكربون

(قلت) وبتلك الخرافات الباردة تماق الجامدون الذين لا يصرفون مواهب أفكارهم في حقائق الكون والترقي الروحي بالبحث في أسراره . وبها تصوروا الفنون الكونية وهم يمرون عليها في كتاب الله العزيز الذي انزله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين

ما أخسر صفقة هؤلاء وما أسوأ حالهم . يتلون آيات الله ولا يتدبرونها . وتقرعهم نوائب الجديدين ولا يعتبرون بها (كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول)

وفي الجواهر السنية بعد أن تكلم على تاريخ الفن وأطواره (ثم)جمع الرجال ما كان مفرقا من تلك الاعمال ورتبوه على قواعد معقولة حسب الامكان ثم دونوه علماً مستقلا كامل الحدود

والاركان ثم توسعوا فيه حتى بينوا دخوله في الصنائع والفنون بل في أطوار الحيوان . فان في التنفس عملا كيماويا في الرئة به يتلون الدم بالحمرة الناصعة وفي الهضم عملا كيماويا في القناة الغذائية به يستحيل الغذاء الى أجزاء حيوانية (حيوية) متنوعة وكذا في النباتات اعمال كيماوية بها التغذية والنمو . وفي المعادن حركات كيماوية بها الامتزاج (الاتحاد) بين الاجزاء والدنو (الاختلاط) وعلم الطب من بين العلوم قد استفاد من علم الكيمياء أعظم المنافع فالطبيب بدون معرفة الكيمياء لا يمكنه أن يركب دواء أو يعطيه للمريض

اذا نظرنا الى هذا العلم نظرة عامة نجده يحتاج اليه في كثير من الفنون وحتى الفقيه في فتاويه فكثير منها لا تصح الا اذا كان عارفاً بهذا الفن ولا غرابة . و (اليك البيان) اذا سئل المفتي عن مادة طبية أو دهنية أو عطرية مثلا وردت من أوربا وهي مصدر الكل بلا نزاع لا تصح فتواه الا على طريق الاكتشاف مركباتها لما في كثير من مواد أوربا من الكحول والمواد الشحمية

وللنجاة من حرج المحرمات والانتفاع بالمنافع لقاعدة(جلب المصالح ودرء المفاسد) يكون عارفا بهذا الفن وفروعه حتى اذا سئل عن شيء منها صح له الافتاء عن بصيرة والا كانت عن

حدس فيعظم خطأه . فكثيراً ما يحصل للمفتين لجهلهم بالحقائق الواجبة عليهم كتحريم أشياء هي حلال في نفس الامر والعكس واذا سألت بعضا عن حقيقة الفتوى أجاب : بقاعدة (استصحاب الاصل) على أن هذه القاعدة ولو كانت من الاصول العظيمة لكنها تنطبق على ماتعذر الوصول الى حكمه . أما وقد تجلت الحقائق بقواعد العلم وتوفرت الاسباب الى تحصيلها فالجنوح الى الاهمال خلود الى الجهل واستسلام الى الحرمان

وقد عمت البلوى الآن بما لامحيد عنه من واردات الغرب اصحاب الجد والمعارف فلا ينبغي للمسلمين ان يقفوا مكتوفي الايد بدون رعاية الحكم الشرعي فيها والاخذ بما راق ونبذ ماعداه ومضارعتهم في استنتاج المواهب العقلية واستثمار القوى الطبعية وليست شريعتنا الحنيفية السمحاء قاصرة عن ذلك بل هي صالحة لكل زمان ومكان ولكل امة مهما كانت منازعها . بيدان حامليها بتقصيرهم وتهاونهم ومداجاتهم وجهلهم باسرارها وغفلتهم عن سنن الله في الكائنات ترك العامة في جهل حالك لايبالون باحكام الله ولوجاءوا بالواجب لما اقتحم العامة العمل بالجهل

علم النبات

هو علم يبحث فيه عن الاوصاف العامة لجميع النباتات والخاصة بكل نوع لتمييزه عما عداه . وعن وظائف اعضائه وترتيب انواعه ترتيبا قانونيا به تتيسر دراسته

وهو ينقسم الى ثلاثة فروع :

الاول . التشريح النباتي وغايته معرفة المنسوجات الاصلية التى يتركب منها النبات

الثاني . الفيسيلوجيا النباتية (وظائف الاعضاء) وغايته معرفة الوظائف التى تتمها الاعضاء النباتية فى الانبات

الثالث . الترتيب النباتي وغايته معرفة التراتيب المستعملة لسهولة دراسة النبات

يعطى هذا العلم لمتعاطيه ملكة تربية النبات كل فى فصله وتربته وما يليق به من هواء ومياه . لان النبات كائن عضوي حي يتولد وينمو ويموت وحيث كان مشاركا للحيوان في التغذية والنمو فانه يحتاج الى قوانين بها يدرك الانسان كيفية تغذيته ونموه لتحصل له المنفعة التى انعم الله بها عليه

فى البحث في النبات يشرف العاقل على بدائع الحكيم القدير . يرى آيات الكمال المطلق والقدرة الكاملة . يشاهد فى عالم النبات

جملا قاهرا ونظاما باهرا وانقيادا لامر المريد المدبر الحكيم الذى مدح ذلك الجمال الهائل الخاضع لجلاله (والنجم والشجر يسجدان) وامر بتدبره وصرف الفكر في تطوره حتى آل الى ان يقتات به ويتنعم بلذائذه فضلا منه ونعمة (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم) وقال عز من قائل حثا والفاتا للنفوس الغافلة عن آياته وجليل آلائه (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) ثم نعى على النفوس المنصرفة عن التدبر والاعتبار الهائمة في اودية الضلالة والاحتيار فساد عقولها على سبيل التعريض فقال (ان في ذلك لآيت لقوم يعقلون)

العلوم الرياضية

من الضروريات الحيوية واللوازم الادبية والواجبات الدينية علم الحساب لا يستغنى عنه أحد من بني الانسان . وهو من العلوم التي ينبغي ان يتلقاها المرء أول نشأته لانه يقوي العقل ويورث النظر الصحيح وسرعة الادراك وملكة الفهم

كفى فخراً وشرفاً لهذا العلم ان مدحه الباري جل وعلا في

كتابه العزيز فقال « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق »

جهل هذا الفن العظيم الفائدة اكثرنا ولم يعلموا من فروعه شيئاً مع شدة لزومه لابنائنا ولا سيما المزاولون لمهنة التجارة الشريفة . لا يعلمون شيئاً من مسك الدفاتر الذي هو من أكبر اللوازم التجارية ولا طرق الاختزال لاختصار العمليات ولهذا كانت التجارة المفيدة المنظمة بيد الاجانب . واذا أراد أحد منا تنظيم أعماله اضطر الى استخدام أجنبي وهذا نقص فاحش وخلل واضح وعار كبير . أفلا نأخذنا الغيرة وقد فاز الاجانب بكل مورد من موارد الحياة في وطننا ونحن صامتون ؟

أليس من الخزي ان يكون الاجانب على جانب عظيم من النظام في أعمالهم وحياتهم ومعاملاتهم وجامعين لكل ما يعود من الفنون عليهم بالقوة والسلطان ونحن نعلل أنفسنا بأن هذه الفنون للحياة الدنيا وهي متاع قليل وتضر بالدين الى أمثال هذه الترهات التي لو لم تكن موجودة لبذل الاجنبي في سبيل ايجادها ونشرها بيننا ملايين من الاموال وأنفق في ذلك أعظم مجهودات حتى لا يستقيم لنا أمر . اللهم ان أعظم البلاء على الاسلام من المسلمين ﴿ لا تهلك وانت معنا يارجاءنا ﴾

ان العلوم الرياضية لا يدرك منافعها الجسيمة العائدة بأجلّ الفوائد من التربية العقلية وقوة الثروة الا من انصرف الى البحث عن اسباب نجاح الأمم وتدقيق النظر للتوصل الى وسائل النظام. وتسهيل المعاملات في عالم الحياة الانسانية

ان هذه العلوم صارت الآن بمراتب من الاختصار وسهولة التناول بكيفية هائلة ، ولا سيما فن الجبر منها الذى هو أعظمها فائدة ولو صعب التحصيل الا انه جليل القدر ، واضح المزية لا تنكر فضيلته فكم له من المآثر المرضيات على علوم الرياضيات خصوصاً في حل المشكلات واستخراج المجهولات

عليه مدار الميكانيكية والارصاد والعمليات العظيمة وسير الارتال والبواخر والفنون الحربية وغير ذلك

وشرف هذه العلوم أظهر من أن يذكر ومنافعها أجل من ان تبين . الا أن الاستغناء عن الالمام بها في موضوعنا ليس من الصواب

اللغات الاجنبية

من النقص الفادح ان تكون أمة تحت سلطة شعب أجنبي ولا تتعلم لغته وتطلع على اوضاعه ومزاياه حتى تعرف كيف تتقي صولته وتقاوم تعسفه وتستفيد بخصائصه . وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام « من تعلم لغة قوم أمن مكرهم » . على أن تعلم اللغات الاجنبية واجب بالنظر الى نشر الدعوة الاسلامية بين أمم العالم وبث التعاليم الحقيقية في تلك الشعوب التي كثيراً ما تنعت الأمة الاسلامية بالأمة المتوحشة التي لا مدنية لها ولا أخلاق ، لما يوحيه اليهم شياطين الكنيسة وانصار الاستعمار

أم ارتفع وجوب نشر الدعوة الاسلامية ؟ كلا انها لواجبة على المسلمين في كل زمان . كيف لا والقرآن ينطق بذلك (ياهل الكتب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) الآية (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) الآية (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) وامثالها من الآيات الآمرة بالدعوة الى الله ولا يتأتى ذلك الا بتعليم اللغات الاجنبية بها يقتدر العالم على التفاهم مع تلك الامم وايقافها على حقائق الدين الاسلامي ولا سيما وقد ارتبط التعامل بين الشعوب . ولا يمكن لاحد الطرفين ان يشارك

الآخر مشاركة حقيقية الا اذا كان يحس بما يحس به ويدرك كل وجدان الآخر وآراءه وفكاره واميال. وكثيراً ما يقع سوء التفاهم وتعاند من غير ان يكون هناك موجب ذلك. وانا كثيراً ما نشاهد الارهاق والاعتساف في جانب المسلم وما ذلك الا لجهله اللغة الاجنبية يعرب بها عن حجته ويبين بها عما يختلج فؤاده

يحرف دعاة المسيحية القرآن ويشوهون الآداب الاسلامية ويفترون على رسول الله ويصفونه بما لا يليق به : كل ذلك لصرف القلوب عن اتباعه وايغار الصدور على المسلمين وافعامها بغضاً وكراهة واحتقاراً للاسلام والمسلمين ونحن في غمرة ساهون عن الواجب غافلون

انا نرى ونسمع ما يبذله القسس الاوربيون في سبيل تعليم العربية وما يجازفون به من حياتهم وأموالهم في معارضة الاسلام وافساد القلوب عنه وبث الدعوة المسيحية ، ولا نعتبر بذلك ولا ينفخ فينا روح الغيرة على الاسلام : فنقوم بنشر مباديه القويمة . بل كثيراً ما يقوم من الاجانب من يناضل عن الاسلام ويدفع تلك الاراجيف الباطلة ولا نشعر به . ولو كان منا أفراد نابغون في اللغات الاجنبية لقاموا بهذا الواجب الديني العظيم ولجابوا من الفوائد العظيمة التي لا تخطر بالبال

اجل قام بهذا كثير من أفاضل السوريين والمصريين والاتراك وكتبوا أحسن كتابات في فنون متعددة وترجموا شيئاً كثيراً مما ينفع ولكن غير كاف في بابه ولا ساد ذلك النقص العظيم الذي حل بالمسلمين

وبالجملة لو انتقل الجامدون من مغاور الجمود ونشطوا من عقالهم لادركوا امر ماندعو اليه واحسوا بما ينادي اليه الواجب وموقفهم الحالي

الانشاء

الانشاء هو الكتابة وعرفها بعضهم بأنها « صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها [1] »

اذا كان المرء بأصغريه قلبه ولسانه فلا شك أن القلم أحد اللسانين بل هو أفضلها وأحقها بالعناية والاعتبار لان عمله عام دائم . فعمل اللسان الاصلي من الاعراض السياله ، قد لا ينتفع به الامن يخالط صاحبه ويسمعه

أما عمل القلم فهو من الصفات الثابتة ينتفع به من يخالط صاحبه ومن لا يخالطه ولو كان بينهما بعد المشرقين . بل وينتفع به من في عصره ومن يأتي بعده على مر الليالي والايام . ولئن

(١) صبح الاعشى عن البيان

قامت الحاجة الى الكتابة في كل عصر ففي هذا العصر أشد كما انه وان احتاج اليها جميع الناس فان العالم اشدهم احتياجا لانها من أهم أسلحته التي يقضي بها أغراضه ويقيم بها من دعائم الاصلاح ما شاء الله

فضل الانشاء معلوم من أول الدولة الاسلامية . وقد كان سابقا لاصحاب الاقلام النصيب الاوفر من التقدم والرفعة بل كان هو الميدان الذي يتسابق فيه الفضلاء من أهل العلم والادب

لا ينكر فضل الانشاء وقيمته العالية أحد ، حتى الجهال والبسطاء والاميون الذين يحبون الكتابة المنمقة الى أهليهم واصدقائهم بعبارات انشائية بليغة وقد يدفعون في سبيل ذلك اجوراً عظيمة

وفائدته في التأثير أشهر من أن تذكر . فقد تعمل الجملة الواحدة من جمل الانشاء ما تعجز عنه السيوف والحراب والمدافع . وطالما أورث الانشاء غنى وجاهاً وجلب سلاما وأقام حروباً ونجى من الموت ، وطالما كانت له اليد الطولى في توبة العاصي وانابة الفاسق (١) . ومن العجب أن يجهله مع ذلك كثير ممن يدعون العلم ويعدون انفسهم في مصاف الفحول جهلاً فاحشاً

(١) العلم والعلماء

وصل بهم الى حد ان تضرب بهم الامثال وتلوكهم الالسنة في المحافل ، وتتخذ بعض مكتوباتهم سخرية واستهزاء بين الناس

وانك لتشاهد متى وجهت فكرك الى الحالة العالمية اليوم وقبيله من التاريخ مكانة للصحافة عظيمة وبأساً شديداً حتى أن الحكومات لتخشاها وتمنو لها في الموقفين : الاستحسان والانتقاد . وحتى صارت هي مسند كل مظلوم ولسان الشعوب التي راج فيها عكاظ الآداب . وراضت أذهانها في حدائق المعارف . بل وأصبحت لسان الحكومات تبشر وتنذر بها وترغب وترهب . ولسان أرباب الصنائع والمبتكرين تشهر تجاراتهم ونتائجهم وتجلب لهم الرفاهية . ولسان المصلح الداعي الى مسالك الفوز . وصوت المرشد الى أذهان الغافلين ورسول الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر العامل لاعلاء كلمة الله . والرقيب الحارس للامة من غوائل الاعداء ودسائس الكائدين ومفاسد الاخلاق وقبائح العادات . كل ذلك بفضل القلم والانشاء . وتجد التأثير وتصوير الحقائق بما هو مطابق للواقع بقدر رسوخ اربابها في الصناعة وحوك المعاني [1]

(١) لم تزل فكرة ذم الصحافة تدب في افكار الغافلين ويستدلون على ذلك باشتغال بعضها بالاعراض ونشر الموبقات . ولم يلتفتوا الا الى جانب العوارض مختفيت عنهم الذاتيات . ولو علموا ان الصحافة بيد غير اهلها كالسيف الصقيل بيد صبي ، وكالثروة بيد المتهتك والحكمة عند من لايعرفها ، لما عابوا الشمس في رابعة النهار

ان أهل التحقيق من علماء الأدب ما برحوا يرجحون كتابة الانشاء ويفضلونها ويميزونها على سائر الكتابات ويقدمونها لأمور :

منها اشتمال كتابة الانشاء على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زبد الافكار وجواهر الالفاظ التي هي حلية الالسنة وفيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة والمنازل الجليلة أكثر من تنافسهم في الدر والجواهر

ومنها ما تستلزمه كتابة الانشاء من زيادة العلم وغزارة الفضيلة ، وذكاء القريحة ، وجودة الروية : لما يحتاج اليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بالفاظ غير الالفاظ التي عبر بها من سبق الى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها الى حقائقها : وفي ذلك من المشقة ما لا خفاء فيه على من مارس الصناعة ، خصوصاً اذا طلب الزيادة والعلو على من تقدمه في استعمالها . أو حذا حذو رسوم المبرزين الذين ينتحلون الكلام ويوقعونه مواقعه مع مراعاة رشاقة اللفظ ، وحلاوة المعنى ، وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاج من اختراع المعاني الابكار للأمور الحادثة التي لم يقع مثلها ، ولا سبق سابق الى كتابتها — لان الحوادث والوقائع لا تتناهي ولا تقف عند حد

نعم ان الحكومة الفاشية تمنحها غير اعداها لتكون لها آلة ولا تكون سدا حائلا دون مقاصدها الخبيثة وهذا غير قادح في الصحافة

أعظم شاهد جليل قدر الكتابة ورفعة شأنها ذكر المولى عز شأنه لها على سبيل الامتنان، واضافة تعليمها الى نفسه وعده لها من كرمه ووافر افضاله وجزيل آلائه: فقال عز من قائل «اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم» مع ان الآية والتي قبلها من مفتتح التنزيل وحياً على أشرف نبي وأكرم رسول صلى الله عليه وسلم وآله وفي ذلك من التعظيم ورفعة الشأن مالا اخفاء فيه

لا جرم ان الذي لا يعرف قواعد الانشاء ولا شيئاً من فنون الأدب يعيب تعاطي هذه المناقب ويعدها من قبيل الهزل وتضييع الفطرة السليمة و (المرء عدو ما جهل) ستراً لقبحه والتماساً لعجزه عذراً

(فما حسن ان يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر)

وعديم الاحساس والشعور الحي لا يخجل اذا كتب ما يكون أضحوكة بين الناس ولاسيما اذا كانت الكتابة رسمية. ولقد رأينا ورأى الناس كتابات يتصبب بها عرق الجبين خجلا ويتضاءل الانسان حياء كتبت الى الحكومة وفي كتبها ودواوينها من المستشرقين الذين كرعوا من حياض الادب الشرقي نهلا وعللا وامتازوا من بين بني جلدتهم بتاريخه حتى صار من البسيط الفرق

(١) صبح الاعشى ج ١

عندهم بين الآداب السامية والآداب الآرية بينما كنت ترى منا من يعد نفسه بين العلماء الاعلام وهو لا يعرف ان هناك ما يسمى بالأدب السامي والأدب الآري ذلك لبعدهم عن تلك المناهل بعد الفرقدين عن البسيطة . أفلا يكون هذا من أكبر العيوب واشنعها وفراغاً جسيماً يستوجب الازدراء ومنا أئمة الادب وفرسانه وابطال البيان وليوثه

علم تهذيب النفس

هو علم يبحث فيه عن احوال النفس وطرق اصلاحها وتطهيرها من سيء الاخلاق

حاجة العلماء والطلاب الى هذا الفن لا تخفى لغرضين ساميين :

أولاً — تعديل اخلاقهم وتقويمها ورفع هممهم عن الدناءة واتصافهم بالفضائل ومعرفتهم كمال الانسان من حيث هو انسان

ثانياً — لغرض اعدادهم لان يكونوا هداة مرشدين داعين الأمة الى فضائل الاخلاق ومحاسن الشيم . اذ كانت العلوم تشرف بشرف غايتها وآثارها فان هذا العلم من أفضل العلوم واعلاها وأحقها قدرا بالرعاية والالتفات والعناية خصوصاً من العلماء وطلاب العلم لانه يتعلق بترقية النوع الانساني وبلوغه أوج الكمال فيما يتعلق بشؤون المعاش والمعاد . علم يدعو الى الابتعاد

عن الشرور والمفاسد ، والاقتراب من الخيرات والمصالح . علم يدعو للتقدم ويرسم للانسان طريق الخير والسعادة

ان الأمة التي لا تروج بضاعة علم الاخلاق في اسواقها جديرة ان تكون احط الأمم وأخسها ، وان تكون رهينة الذل والنقص ، حليفة الاحتقار والصغار

يتبين للناظر في احوال النفس وقواها انها تنقسم الى ثلاثة :

أولا ـ القوة الناطقة وتسمى الملكية وهي القوة العاقلة وهي التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور . فمتى كانت معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة (لا المظنونة معارف وهي في الحقيقة جهالات) حدثت عنها فضيلة العلم وتتبعها فضيلة الحكمة

ثانياً ـ القوة الشهوية وهي التي يعبر عنها بالبهيمية وهي القوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية . فمتى كانت معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير مستعصية فيما تقسطه لها ولا منهمكة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخاء

ثالثاً ـ القوة الغضبية وهي التي يعبر عنها بالسبعية وهي القوة التي بها يكون الغضب والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق

الى التسلط والترفع وضروب الكرامات

فمتى كانت معتدلة تطيع القوة العاقلة فيما تقسطه لها فلا تهيج في غير حينها ولا تحمى اكثر مما ينبغي لها حدثت منها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة

وباعتدال هذه القوى الثلاث تحدث فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة . لهذا اجمع الحكماء على ان اجناس الفضائل أربعة : (الحكمة) و (العفة) و (الشجاعة) و (العدالة) . ولهذه الفضائل اضداد أربعة أيضاً هي : (الجهل) و (الشره) و(الجبن) و (الجور)

فانت ترى ان القوة العاقلة هي أشرفها وبها صار الانسان انساناً وشارك الملائكة وباين البهائم . وادونها البهيمية . وأوسطها السبعية

فاشرف الناس من كان حظه من القوة العاقلة اكثر وانصرافه اليها أتم وأوفر . لهذا وجب تغذية النفس بالعلم والتهذيب بالاخلاق الفاضلة والزيادة في المعقولات والارتياض بالصدق في الآراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من الكذب والباطل كيف كان ومن أين جاء

ومن اتفق له في الصبا ان يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب

الاخلاق حتى يتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن الا اليها ثم يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الانسان .. فهو السعيد الكامل

وعلم تهذيب النفوس ضروري للحياة الفردية والحياة العائلية والحياة الاجتماعية وهو لحفظ الفطرة في النفوس حتى لا تنطبع بالخبائث والرذائل فتصبح من المفسدين . فالقلوب التي هي محل نظر الله جل جلاله اذا كانت في نفوس متعهدة بالتهذيب كانت ينبوع الخيور واذا لم تتعهد بالتهذيب كانت مثار الشرور . قال صلى الله عليه وسلم « ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب » وبمقدار تأثر النفس بالفضائل ورسوخ التهذيب فيها تكون تضحيتها في سبيل الخير وعبادة الله تعالى واستطابة الحق ولو كان مراً ثقيلا . قال عليه الصلاة والسلام « اعبد ربك على الرضا واليقين والا ففي الصبر على ما تكره خير كثير »

وللتهذيب طرق متعددة ولم يزل علماء الاخلاق والنفس يستخدمون قواهم لابتكار أساليب التهذيب باعتناء عظيم الا أن الطريق المعمول به الآن في بعض مدارس تونس هي بسيطة ولكنها لا بأس بها . وهي ترويض أذهان التلاميذ بما ذكرنا من

الفنون ، ثم يحفظ أشعار الحماسة والاخلاق الظاهرة والمحاسن الاسلامية والحكمة والفضائل وتنتهي تربية من ذلك القبيل ، بعدة آيات وأحاديث وشرح ذلك كله لهم وما يناسبه من الامثال

أما ما يخل بالادب الاسلامي من المجون والسخف والتغزل فلا وجود له وحسنا فعل أربابها . وما قيل من وجوده فاختلاق محض ومع وجود شيء من ذلك في دروس أولئك المختلقين وآدابهم . أولئك الذين يطمئنون فيما رأيته وتراه من العلوم ويتخلل دروسهم مثل قول الشاعر :

« قد أقبلت عزة من عراقها »

وقوله : « أعد نظرا يا عبد قيس »

مما يخجل العاقل من ذكره وسماعه . وما انتبهوا الى سنة الله في كتابه العزيز من التعبير بالكناية كقوله تعالى « وأتوا حرثكم انى شئتم » وقوله « وقد أفضى بعضكم الى بعض » وقوله « ولا تقربوهن حتى يطهرن » . وأمثالها من التعاليم العالية والآداب الكاملة

ونود أن يوحد تدريس علم النفس حتى تربى القوى العقلية في الناشئين وتنمو وتسمو مداركهم وتنتقف غرائزهم

وما أحوج بلادنا الجزائرية الى المدارس وأنواع العلوم الاسلامية فقد انتشرت في جميع أرجائها المدارس الفرنساوية

وفقدت منها المدارس الاسلامية . اللهم الا شيئاً لا يذكر مع ضعف التعليم وهذه منافسة عظيمة للتعاليم الاسلامية وان استمر الأمر على هذه الحال فستصبح تعاليمنا في خبر كان ولله عاقبة الأمور

ولا بأس أن نأتي بنزر من الكلام على الفطرة لعلاقتها بما قدمناه من تربية النفس فنقول : اختلف العلماء قديماً وحديثاً في الفطرة وتضاربت آراء الباحثين في زعامتها . وعند بعض هي نقاوة القلوب وطهارتها واستعدادها للخير . ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم « خلقت هذه القلوب حنيفية الا ما كان من الشيطان فانه يخترمها عما خلقت له » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

وعند آخرين هي الاسلام ، واستدلوا لقولهم بقوله تعالى « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »

ومنهم من يرى هي استعدادها للخير والشر ، ومنهم من يرى هي خلوها منهما ، ومنهم من يرى أنها الشر ويستدلون برأي أبي الطيب المتنبي [1] في قوله :

(١) ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد احد كبار الشعراء الراقي الخيال الدقيق التصوير البعيد المرمى . له سلاسة وانسجام في شعره

« والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم »

ورأي المعري (١) في قوله :

« وفضيلة النوم الخروج بأهله

من عالم هو بالاذى مجبول »

وقوله :

« ومن جرب الاقوام أوسعهم ثلبا »

وبعض انصار هذا الرأي يقول ان الطبع الانساني متى وكل الى نفسه ولم تحفظه العصمة الالهية وترشده الهداية الربانية التبست عليه الأمور وكان الى الشر اميل منه الى الخير وأطوع الى صولة الأول منه الى سلطة الثاني . ولذلك وجب حياطة الناس بما صدر عن السنة خيرة الخلق المعصومين المطهرين وما جاؤا به من الحكمة المبينة لجميع الخيرات بأصدق القول وأبلغ الكلام

وللقائلين بأن الفطرة استعداد النفوس للخير والشر ادلة منها قوله سبحانه « فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » فقد افادت الآية ان الهام الله للنفس عقب

ماجعله جذابا للقلوب . كان مصاحبا لسيف الدولة وله فيه كثير من القصائد ولكافور الاخشيدي في مصر ولعضد الدولة بفارس . توفي سنة ٣٥٤ هـ

(١) هو ابو العلاء الفيلسوف الشاعر المشهور، رمي بالكفر والالحاد وذكر انه تاب . عمي بعد ولادته باربع سنين . وهو من اساطين الادب لبث زهاء ٤٥ سنة بعيدا عن اكل اللحم متزهدا عن تعذيب الحيوان بالذبح وكان يعتقد ان الزواج جناية . توفي سنة ٤٤٩ هـ كان من مشهوري الحفظ والذكاء النادرين

تسويتها والفلاح لمن طهرها من المعاصي ولم يدنس صفاءها الفطري بشيء من الرذائل والخيبة لمن دسها بالمعاصي . ويؤيد هذا قوله عز شأنه « وهديناه النجدين » أي بينا له طريقي الخير والشر . وكذا قوله تعالى « انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً » . الا انك اذا تأملت جيداً تجد ترجيح رأي القائلين بأن الفطرة ميل النفس الى الخير والاستعداد له للحديثين الشريفين « خلقت هذه القلوب حنيفية » و « كل مولود يولد على الفطرة »

والقائلون الفطرة هي الاسلام يستدلون بالآية المتقدمة «فطرة الله التي فطر الناس عليها» أي الزم فطرة الله وهي الاعتراف لله بالوحدانية فانها الدين القيم لاتغيير لها أولا تغيرها . على ان النفي بمعنى النهي وقد أخبر الله تعالى في آية « وان من شيء الا يسبح بحمده » بأن الخضوع لجلاله والاعتراف بوحدانيته والوهيته من جميع المخلوقات اما بلسان الحال واما بلسان المقال

زهد الجامدون في فن تهذيب الاخلاق وا بتعدوا عنه فصارت نفوسهم مظلمة وعقولهم غير صقيلة فضاعت منهم الفطرة السليمة فكان ما يمر عليهم من الدلائل والحكم غير قار . ولو اشتغلوا بهذا الفن لكفى بعضهم شر بعض وكفوا شر الناس وكفى الناس شرهم ورأوا ماتقر به أعينهم ولادركوا ضرورة التعاون والاتحاد مع اوساطهم لان الضرورة داعية الى حال تجمع وتؤلف بين

اشتات الاشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له

فالنقصان الذي يضطر الناس الى الاتمام والاستكمال جعل افراد البشر مرتبطة . ولا سيما افراد الشعب الواحد . والمصالح العامة ضرورية بين الناس الاستغناء عنها مستحيل . لا تمنع منها ولاية ولا براءة لانها من وظائف القلوب لهذا قال صلى الله عليه وسلم « أفشوا السلام تحابوا »

ما أحوج أولئك الى درس علم النفس أيضاً والوقوف على اسرار الاسلام حتى يعلموا سر ايجادهم ومعنى انسانيتهم وكونهم بالطبع مدنيين « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »

المكاييل والمقاييس

من الفنون التي يزاولها الشبان بالمدرسة فن المكاييل والاوزان . وليس يخفي ان الاقيسة على اختلاف انواعها هي القطب الذي تدور عليه رحى المعاملة فيما بين الناس وينضبط به أمر التبادل العام الذي هو اس الثروة والعمران وتتعين مقادير الحقوق الشرعية في الزكاة والصدقات وغيرها وبدونها لا يمكن الوصول الى هذه الغاية الشريفة فيتلاشى او يفسد كثير من أصول الدين القويم وتتعطل حركة المعاملة ويختل أمرها حيث

لا يعرف الانسان كيف تكون

لم تزل مسائل هذا الفن مطمح انظار العقلاء ومبحث القادة من العلماء ، ولها أهمية عظيمة بين الأمم المتقدمة وتعد من الواجبات المدرسية على التلميذ في اطواره المدرسية الأولية حتى يكون بصيراً بآلات التعامل بين أمتـه وغيرها كذلك . فان سمحت له الاقدار بتعاطي المعاملة كان على استعداد في تجارته لا يظلم ولا يظلم

وقد ورد وعيد عظيم في الاخلال بشيء منها فقال عز من قائل « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » ثم أنذرهم ونبههم الى مراعاة يوم يناقشون فيـه الحساب ويقتص منهم فيما نقصوه من المكيال والميزان فقال « الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم » وببخس المكيال والميزان أهلك الله قوم شعيب عليه السلام

وغير خفي ان التعامل الآن في بلادنا بمكاييل وموازين فرنسوية واندثرت مكاييلنا وموازيننا فوجب ان نعلم الشبيبة هذا الفن حتى يكونوا على بصيرة من هـذه الآلات التي ابتلينا بالتعامل بها في ظعننا واقامتنا كما يجب علينا ان نحافظ على اوزاننا الشرعية لاداء الحقوق كما قدمنا

وهذا الفن من لوازم العمران لا من الكماليات حتى يصح الاستغناء عنه لبعض

الاجمال في الفنون بعد التفصيل

يتبين للمطلع على ما كتبناه على الفنون وما أتينا به باختصار وألممنا به من تلك الفنون الحيوية ، عدم منافاتها للقرآن والاسلام، ويتبين له كونها من الواجبات الحيوية والمدة اللازمة للوقاية من انكسار شوكة الاسلام وانهدام امته وانهزام انصاره امام أي قوة أجنبية عنه تحاول القضاء عليه وطمس معالمه . وتلك من وسائل اعلاء كلمة الله

والزاعمون مباينتها للدين وانها مما يضر به، بينهم وبين ادراك اسرار الله وفهم سننه في الكون اغوار وانجاد . ومعالم واطواد

وهذا النزر من علوم حقائق الموجودات وخواصها واسرارها ما هو الا لمحة من وشل . يندرج تحت هذه الكلمة علوم شتى لا تكاد تحصى ولا تخطر ببال الجامدين لذين يصمون الحق بالباطل ويتكلمون فيما ليس لهم به علم « ولا تقف ماليس لك به علم » . وكلها من العلوم المفيدة اللازمة في الدين والمعاني الأدبية والأمور المادية . وقد دعا الله الى النظر في موضوعاتها غير مرة بل أكثر القرآن جاء حاثاً على النظر في الموجودات كما قدمنا

ولا شك انه وان سلمنا ان النظر السطحي كاف في الايمان لكن التحقق من هذه الاشياء على الطرق العلمية مما يورث

كمال اليقين . ان اعتقاد الناظر في هـذه العلوم والعالم ببعض تفاصيلها هو الاعتقاد الـكامل الذي يعد النفس الى الاقتراب من موجد العوالم . وفرق كبير بين الأثر الذي يحصل في نفسك اذا سمعت ان فلانا شجاع كريم على سبيل الاجمال و بين الأثر الذي يحصل عندك اذا شاهدت جزئيات وقائعه في الحروب ونظرت الى ما يصدر عنه من الاحسان

نعم نعم . بين الاجمال والتفصيل فرق ما بين الشهود والتقليد . الوجدان الذي يحصل من الاستكمال العلمي والنظر في الموجودات ومعرفة أنواعها ونظامها وترتيبها الخ يرفع الانسان الى حد يكاد يجعله سلطان العوالم (ولا شك أن العلم نوع من الاستيلاء على المعلوم) ويريه كأنه يشرف عليها من كوة عالية فوقها ويخيل له معنى السعادة ، والغنى التام ، والكمال المطلق الرباني المتجلي في مخلوقاته

ولئن امتاز الانسان باتقان الفعل وحسن الآثار وتحصيل المصالح والابتعاد من المضار فلا جرم أن ذلك لا يكون الا بالاستكمال في العلوم الكونية والنظر في خصائصها وأسرارها فكيف لا تنظر فيها على قدر الطاقة (١)

(الاتقان) : وقد احتوى (أي القرآن) على علوم اخرى

(١) العلم والعلماء ببعض تصرف واختصار

من علوم الاوائل مثل الطب . والجدل . والهيئة . والهندسة . والجبر . والمقابلة . والنجامة . الخ

ثم زاد على طب الاجساد بطب القلوب وشفاء الصدور . وأما الهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والارض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات وأما الهندسة ففي قوله تعالى « انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب » [١] وأما الجبر والمقابلة فقد قيل ان أوائل السور فيها مدد وأعوام وأيام لتواريخ امم سالفة وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا ، وما مضى وما بقي مضروب بعضها في بعض . وأما النجامة ففي قوله تعالى « أو اثارة من علم ان كنتم صادقين » قال به (حبر الامة) [٢] . وفيه اصول الصنائع

(١) في الاستدلال بهذه الآية على هذا الفن نظر ، وكانه يشير الى الشكل المثلث والاشارة في قوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) أقوى . ففي اقل اشارة أو احتمالها في آية كفاية الرد على دعوى مباينة تلك الفنون للقرآن

(٢) هو عبد الله بن عباس عم سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما بحر العلم وحبر الامة وعالمها ولد (والنبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته بالشعب من مكة) فأتي به النبي (عليه الصلاة والسلام) فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على قول ورأى جبريل عنده صلى الله عليه وسلم مرتين ودعا له مرتين وكان له لما مات النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة في رواية

كلها والمعاملات . اه

وبالجملة كتاب أنزله الله للبشر ، كافل لسعادتهم في الدارين « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب »

(قلت) من العلوم الممتازة بالتآليف النفيسة وأخصاء ونوابغ (علم النفس) وقد أصبح من العلوم المقررة بالجامعات الكبرى وهو وان كان شعبة من علم الاخلاق لكنه توسع فيه العلماء وأبرزوه في ثوب قشيب وحلة بديعة . المتبرزون فيه لهم اقتدار في تربية القوى العقلية وادراك النفوس واستعدادها وتهذيب الاخلاق ، وسيكون في مستقبل الايام لهذا العلم شأن واي شأن بما ظهر فيه من الاسرار العجيبة . وقد أخبرني بعض الاساتذة أن الاعتناء بهذا الفن عند الامم الاوربية أبلغهم الى حد معرفة النفوس الشريرة كل بما يخصها من قبيح الاعمال حتى صاروا يستخرجون قضايا الجنايات بهذه المواهب بطريقة صادقة يحكمون بها . وهي وان كانت غير مطابقة للحكم الشرعي لكنها توصل اليه بدون أدنى ريب ويعرف بها الجاني والنفوس الخبيثة فتتخذ وسائل اصلاحها فتغدو أعضاء نافعة في الهيكل الاجتماعي فان النفوس الجامحة منها المستعدة للتأثير بالزواجر الالهية بمجرد سماعها ومنها بتكرارها ومنها غير قابل لها بالكلية ، ولهذه

الفروق شرع الله الحدود تطهيراً لقابلية الصلاح وتمييزاً لضدها «ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون»

ولا غرابة أن نقول ان القرآن من أكبر الآيات وأعظم المعجزات وأسطع البراهين على توحيد الله تعالى وكمال قدرته اذ جميع ما في الكون وما بلغت اليه أفهام البشر من الاختراعات مذكور في الكتاب العزيز تصريحاً أو تلويحاً . تأمل قوله سبحانه وتعالى : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » ترى من الابداع والاعجاز المرتبة القصوى . فانه سبحانه ألفت نظرنا تذكيراً الى آلائه الوافرة علينا في عالم الشهادة من تسخير الحيوانات لنا وانقيادها ذلولة نتخذها مطايا وزينة ثم الفتنا ثانياً الى عالم الغيب بانه يخلق أشياء لم يحط بها علمنا قبل حدوثها بصيغة الاستقبال المفيدة للتجدد والاستمرار صالحة للركوب كذلك والزينة وغيرها من العجائب التي لا تنقطع

الهم عز شأنه الانسان مالم يعلم فابتكر المراكب البديعة المائية والجوية والبرية التي أصبحت تطوي الهواء والارض وتقطع في جزء من الزمن يسير الابعاد الشاسعة وتصل كل منتأى. وابتكر المخبرة السلكية واللاسلكية والمبرة يستكشف بها مرامه في

كل صوب . وانا نرى كل حين من غرائب صنع الله تعالى الذي أتقن كل شي مما الهمه الذين خصهم بقوة الفكر واستخدام المواهب العقلية ما يبهر الالباب . وأولئك الذين تمتمت افكارهم بطحلب الجمود أو قصرت مداركهم وتعطلت دون الوصول مواهبهم بعدم استعمالها عن آيات الله غافلون

في رسالة حكم عيسى عليه السلام آخر الزمان [1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد ، فهمه من فهمه وعمه عنه من عمه »

وفيها قال بعضهم : مامن شيء الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله . حتى ان بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة من قوله سبحانه في سورة المنافقين « ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها » فانها رأس ثلاث وستين سورة وأعقبها بالتغابن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أغفل شيئاً لاغفل الذر والخردلة والبعوضة [2] . وقال ابن مسعود [3] رضي الله عنه من

(١) رسالة جليلة للسيوطي خطية في دار الكتب المصرية

(٢) رواه ابو الشيخ وابن حبان في كتاب العظمة

(٣) هو عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي كان من كبار الصحابة وعلمائهم شهد له (صلى الله عليه وسلم) بالجنة وشهد معه بدرا واحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وهاجر الهجرتين الى الحبشة والى المدينة وصلى الى

أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الأولين والآخرين . وقال أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن

مما ينبغي لنا ان نذكره هنا ونزين به هذه النبذة بعض اسرار كلام الله العزيز الذي لا ينضب معينه ولا تخلق محاسنه ولا تنطفيء أنواره . نرى كثيراً ما يمدح سبحانه فيه اعمالا ويذكر على أخرى ثواباً ويثني على فاعلها مرة أخرى تشويقاً لنفوس المؤمنين وانتداباً لها الى تلك الاعمال الجليلة بطريقة مؤثرة بليغة لما فيها من المنافع الجمة وادخار الحسنى . ولو أمعنت التفكر مثلا في قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار » لرأيت في نفسك من التأثير مالا تقدر على تكييفه ومن الشوق مالا تتصوره ومن انتعاش روحك وانجذاب نفسك مالا تكتنهه . لذلك قال العلماء يؤخذ الامر من ثلاثة : من مدح الفعل ومن ذكر الثواب عليه ومن مدح الفاعل . كذلك النهي يؤخذ من ذم الفعل ومن ذم الفاعل ومن ذكر الوعيد عليه

ومن هـذا القبيل ذكر المولى عز شأنه نعمه في معرض

القبلتين . قال رضي الله عنه : لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الارض مسلم غيرنا . وشهد وقعة اليرموك بعده (عليه الصلاة والسلام) . توفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين واوصى الى الزبير بن العوام ودفن بالبقيع وعمره بضع وستون سنة

الامتنان الفاتاً لنفوسنا الى شكرها واستعمالها فيما خلقت لاجله وهذا كثير في القرآن مما تحسن حال الافراد به وتنتظم الهيئة الاجتماعية وتنال السعادة السرمدية

ومن الغرور ان يقول قائل ان الكتب المنزلة لم تتضمن الا ما هو عبادة وتهذيب النفوس مع ما تضمنه القرآن مما ذكرناه وهو شيء يسير مما فيه . وحتى سيادة المسلمين واستخلافهم في الارض لحفظ النظام ونشر الاسلام . أولا ترى الى قوله سبحانه « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا » كيف استنهض المسلمين الى العز والسلطان بان وعدهم بالاستخلاف في الارض وتمكينهم من الاسلام الذي اختاره لهم ديناً والامن بعد الخوف . كل ذلك متى جمعوا بين التصديق به تعالى والعمل الصالح ثم أمر بالخضوع لجلاله وعظمته والامتثال لاوامره واجتناب نواهيه ثم ختم الآية بقوله « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » فأفادتنا الآية اننا متى تركنا الواجب صار امننا خوفاً وزال سلطاننا وأصبحنا محكومين لا حاكمين وهذا هو المشاهد الآن . (أعاد الله للاسلام عزه وعظمته ورفع لواء دينه على كل الالوية)

وأكبر دليل على ان القرآن جامع لعلوم الاولين والآخرين قوله سبحانه « وأنزلنا اليك الكتاب تبياناً لكل شيء » و « ما فرطنا في الكتاب من شيء ». ولا يصح قصر الآيتين على ما يخص العبادات والمعاملات ولا دليل على ذلك اذ لا تخصيص لعمومهما

وما ظهر من هجمات الملحدين وطمن الاجانب في الدين الاسلامي ووصفهم له بانه دين الجمود فمن اسبابه ما يكتبه الجامدون والاعراض منهم عن سنن الله في الكون وهم يحسبون انهم يرفعون مناره بينما هم يقوضون بنيانه فكانوا اكبر مساعد لأولئك الاخصام الذين ما ذاقوا المجد وعرفوا نعيم الحرية الا بما نشره القرآن وأفاضه الاسلام بين الورى من انواع السعادة وبينته السنة الغراء من المحاسن ومكارم الاخلاق، ولم تزل تتفيأ ظلال الاسلام على العالم ولو أنكرها الجاحدون

من شأن المسلم ان يجعل نفسه مثالاً تتشخص فيه مكارم الاسلام وآثاره الفاخرة وكمالاته وتعاليمه العالية وان لا يبتدر منه ما يحط من محاسنه . ومن الواجب اظهار حقائقه وفضائله والدعوة اليه ونشر مزاياه وابانة ماجاء به القرآن من السعادتين . فبتصوير المسلم لدينه بجماله والدعوة اليه والترغيب فيه يحصل التأثير العجيب ومصداق قولنا قوله سبحانه «ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين »

ان من كمالات الدين الاسلامي ونعمة القرآن انتشال البشر مما كان منغمساً فيه من حمأة الجهالة والهمجية والخضوع لاسر الاوهام وما يخطر من الهواجس التي ماطها على الانسان من سلطان الاسوط الجهل اطاعه لها

أباح القرآن للعقلاء البحث في كل شيء من المخلوقات وفتح لهم مراقي السعادة العقلية ولم يحظر عنهم الا التفكر في ذات الباري جل وعلا لانهم لا يحيطون به علماً لذا قال عليه الصلاة والسلام « تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق »

الحكمة ضالة المؤمن

ورد عنه صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها أخذها » سواء قلنا الحكمة العلم النافع أو اصابة الحق بالعلم والعقل أو غير ذلك من الوجوه فكلها تحوم حول معنى واحد وهو العلم . هو انشودة المؤمن وغاية مناه لانه به يشرف ويسعد وينال الدرجات العلى . وأشرفه ما يبلغ به الى معرفة (مالك الملك) جل جلاله عن يقين . فمن هنا قال المحققون ايمان المقلد ضعيف . فكل علم يزداد به اليقين ويشرق به الباطن وتتقوى به الكمالات الانسانية فهو علم الحكمة « يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » يلتقطها المؤمن أينما وجدها ولا غبار عليه متى وجد علماً نافعاً من

العلوم التي لا ضرر فيها على الدين عند أي شخص وأخذه عنه وقد جرى على هذا العلماء قديما وحديثا . وفي المثل السائر قال صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها اذا وجدها » والمراد بذلك أن الحكمة قد يستفيدها أهلها من غير أهلها كما يقال « رب رمية من غير رام » . وهذا لا يخص علماً واحداً من العلوم بل يقع في كل علم . اه

ففي بعض الروايات لحديث الباب (حيث) وهي لعموم الامكنة فتفيد أخذ كل علم نافع لا ضرر فيه شرعا من أي انسان وجد عنده

وفي الجواهر السنية : لما كانت الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها اينما وجدها ، وأبرك يوم عنده ما أحرز فيه مسألة واستفادها أو أفادها ، وكان من أجلها علم الكيمياء الذي لم يسمح بمثله الزمان : اذ هو اساس لعلم الشفاء ، ومعالجة الابدان فهو له كالام وعلم الطبيعة كالابيه . ولا ينكر ذلك الا جاهل سفيه . لم لا وبه يعرف تحليل الاجسام وتركيبها وتقطير الاملاح وتبلور [1] الاملاح وتذويبها وتاكسيد [2] المعادن واستحضار

(١) اجتماع اجزاء مائية أو غازية أو جمودية في مائع وانعقادها تدريجا مع البطء على أشكال مختلفة منتظمة تسمى بالبلورات . فان كان الاجتماع بسرعة ومن غير انتظام في الشكل يسمى ترسيبا وما تكون منه يسمى رسوبا

(٢) اتحاد مقدار من الاوكسجين بجسم بسيط

الغازات . وتجهيز الحوامض[1] والاملاح ومنافع الفلزات[2] وبه تتميز السموم من غيرها من الاستحضارات ، ولا تتم مهارة الطبيب الا به ويدرك خطأه من صوابه ، كان الواجب على العاقل ان يتلقاه ولو من غير أهل الاسلام حيث لا يجد فيه ما يخالف شريعة سيد الانام

وقد قال صلى الله عليه وسلم « اعلم الناس من يجمع علم الناس الى علمه وكل صاحب علم غرثان »[3] وانت ترى عند التحقيق ان الحكمة هي العلم . فتأمل يامسكين شرف العلم فان الله عز وعلا سماه الخير الكثير « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا » والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا بأسرها قليلا « قل متاع الدنيا قليل » وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة ، والعلوم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها . واعلم ان كمال الانسان في شيئين : ان يعرف الحق لذاته ، والخير لاجل العمل به . فرجع الاول الى العلم والادراك المطابق ، ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب . قال بعض المفسرين في قول أبينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم « رب

(١) هي الجواهر المتكونة من اتحاد الاوكسجين أو الايدروجين بجسم بسيط أو جسمين أو ثلاثة (٢) هي الاجسام المعدنية

(٣) رواه أبو يعلى عن جابر بن عبد الله . وغرثان كعطشان : جائع

هب لي حكماً » الحكمة النظرية « والحقني بالصالحين » الحكمة العملية . والله ولي التوفيق

الكلام على التعليم

لا ريب ان التعليم له طرق متعددة وأساليب متنوعة . غير ان النجاح في التحصيل مبني على مقدرة العالم في التأثير وايصال المعاني الى اذهان التلاميذ بذكائه ومواهبه

لم تكن أساليب التعليم فيما سلف منضبطة وانما هي حسب ما يراه المدرس على سبيل التقليد أو استنباط منه لفوائد فيه يضمها الى طريقته التي أخذها عن اساتذته

غير ان العلماء المعتنين بالتعليم مازالوا يبتكرون طرقا ويمزجون بأخرى ثمرات بلغت اليها عقولهم بحثا وتجربة ويختصرونها آنا بعد آن الى ان أصبح اليوم التعليم له طرق سهلة التناول مفيدة للمتعلمين موصلة الى البغية في يسير من العمر مع وفرة المعلومات . وقد ألف فيها العلماء تآليف لا تحصى وأعدت الحكومات والجمعيات مدارس لذلك يتخرج فيها المعلمون الاخصاء البارعون في ايجاد الملكات للتلاميذ

والتعليم من شعار العالم وأخص صفاته . اذن فلا بد له من الكمال فيه واذا كان هو اساس السعادة وواسطة التربية والترقي ونشر الدين فلا بد من الاعتناء به والسعي في تسهيله ولا يجوز

الاقتصار فيه على ضرب غيره أحسن منه

وبديهي انه لا تلازم بين العلم وحسن التعليم . فكثيراً ما يكون الشخص من كبار العلماء ولكنه مشوش أو عاجز البيان أو قليل الخبرة باساليب الاقناع ليست عنده قوة التصرف ولا له دراية بطرق التفهيم التي تختلف باختلاف المتعلمين . ولا شك ان نجاح الطالب أو سقوطه وسعادته أو شقاوته يرجعان الى أمر التعليم

فهناك من يرفع البليد بحسن تعليمه ويقدمه الى صفوف الاذكياء ويأخذ بايدي الطلاب الى اسمى مراتب العلم وأقصى وجوه النظر من أقرب الطرق بدون تعب يذكر . وهناك من يحط من قدر الاذكياء حتى يذهب ماينتظر منهم ويضيع حسن استعدادهم ويكون كالعلة التي تلحق الحيوان أو النبات في أول نشأته فتعوق نموه وتورثه الذبول

المتعلم يكون أول أمره عاجزاً عن تعلم اصغر الجمل وأظهرها الا على سبيل الاجمال والتقريب بالعبارات الصريحة والاشارات الحسية ثم لا يزال الاستعداد يتدرج فيه قليلا قليلا بمعاودة النظر في قواعد العلم وتكررها عليه والانتقال فيها من التقريب والاجمال الى الشرح والتفصيل ثم الى الاحاطة والاستيعاب حتى تتم ويكمل الاستعداد

فإن حصلت للتلميذ ملكة في علم من العلوم رغبت نفسه وتشوقت الى الاستزادة منه وتوسيع ملكته فيه . ثم لا يزال ينتقل فيه تدريجياً حتى يصل الغاية ويصير فيه اماماً . بخلاف ما اذا خلط عليه من أول الأمر عجزت نفسه عنه وذهبت زهرة عمره بدون جدوى . لهذا كان أغلب المتعلمين ينقطعون عن العلم عند ما يرون عدم التحصيل فكان فساد التعليم جناية على مواهب كثير فعاقتها عن ابراز آثارها والانتفاع بها

فالتعليم النظامي العصري جميل سريع الافادة يسير مع نمو مواهب التلميذ تدريجياً فكان كالمذكي لها اذا كان بيد المخلصين الامناء . وانكار حسن التعليم الآن وترقيه من قبيل انكار المحسوس ، وذمه من (المفتون) ضغاطة [1] وخطل

---

(١) الجهل وضعف الرأي

الكلام على الفصاحة والبلاغة وتأثيرهما

من جمال ابن آدم وكماله الانساني البيان . جمال يجذب القلوب ويلج الاسماع بدون اذن ويستهوى النفوس ويخلب الالباب . لو لم يكن للبيان مدح الا قوله صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا »[١] لكفاه شرفاً وثناء خالدا . فكيف وقد مدحه الله تعالى في محكم كتابه الذي هو ينبوع البيان . ومنهل العرفان . فقال سبحانه « الرحمن علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان »

علم البيان هو علم البلاغة ـ وهو أجل العلوم الادبية قدراً ومكاناً . وأعلاها منزلة واكبر شأناً . لانه علم يستولى على استخراج اسرار البلاغة من معادنها وهذه توجد محاسن النكت المودعة في اصدافها ومكامنها . وهو الغاية التي ينتهي اليها فكر النظار والضالة التي يطلبها غاصة البحار وعليه التعويل في الاطلاع على حقائق الاعجاز في القرآن واليه الاستناد عند المسابقة في الخصل[٢] والرهان ومنه استثار المعاني الدقيقة على مر الدهور وتخرم الازمان . هوابو عذرتها وانسان مقلتها وشعلة مصباحها

(١) الجامع الصحيح الامام الربيع بن حبيب رحمه الله من أئمة القرن الثاني
(٢) الخصل والرهان عطف مرادف

وياقوتة وشامها. ولولاه لم تر لساناً يحوك الوشي من حلل الكلام وينفث السحر وازهر مفتر الاكمام . كيف لا وهو المستولى على اسرار الاعجاز وحقائق المجاز . وكيف لا وبه يدرك المستقيم من المعوج من التأويل

هو من العلوم الادبية بمنزلة الانسان من سواد الأحداق . وقد بلغ الذروة العليا من البلاغة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ فاعجز البشر ووقف دونه فطاحل الفصحاء والبلغاء ، منهم من خروا له خاضعين فنكسوا امامه الويتهم مندهشين . فما استطاعوا ان يبدوا أقل آية فكيف بسورة من مثله وقد أنزله الله تعالى على (سيد العالمين) صلى الله عليه وسلم وآله ، وسوق البلاغة نافقة . [1] ومنهم من انتقل عند عجزهم من المعارضة باللسان الى المقارعة بالسنان ومن المكالمة باللهازم [2] الى الملاكمة باللهاذم [3]

ليت شعري ما كان يخطر ببال انه يوجد من يذم الفصاحة والبلاغة واحكام اللغة العربية الشريفة واتقانها . وقد مضى ذلك العصر الذي وجد فيه هؤلاء عصر استخراج الفنون من اصدافها وتأسيس الضوابط لصيانتها وكفى مؤنة الرد عليهم امام البلاغة

---

(١) رائجة (٢) عظمان ناتئان خلف الاذنين والمراد المكالمة بالفم

(٣) الرماح القواطع

وفارس الفصاحة [1] في دلائل الاعجاز

أجمعت كلمة البلغاء على ان القرآن معجز . واعجازه بوجوه عديدة . بالنظم واشتماله على المغيبات وخفايا الامور التي لم تدرك الا بعد ظهورها ووجوه الحسن واسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان . ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسناً وبهجة وسناء ورفعة

واذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج ويؤنس ويطمع ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ويشجي ويطرب ويهز الاعطاف ويستميل نحوه الاسماع ويورث الاريحية والعزة ، وقد يبعث على بذل المهج والاموال شجاعة وجوداً ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل الى القلوب دقيقة . وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجرى على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته

(١) الشيخ عبد القاهر الجرجاني أول من لخص هذا الفن وأظهره برأسه وألف فيه كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة فكانا ركن علم البلاغة العظيم

القرآن هو أشرف بيان وأهداه وأكمله وأعلاه وأبلغه وأسناه متضمن ثمرة كتبه تعالى التي أولاها أوائل الامم كما نبه عليه بقوله سبحانه « يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة » جعل الله من معجزته انه مع قلة الحجم متضمن المعنى الجم بحيث تقصر الالباب البشرية عن احصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

محاسن أنواره لا يثقفها الا البصائر الجلية . والقلوب النقية المؤيدة من الله بالتوفيق والعون

(المصباح) [١]: البلاغة أشرف أنواع الأدب وأعلاها مكانة وخطرا لانه علم لاستخراج اسرار البلاغة من معادنها والكشف عن محاسن النكت المودعة في مكامنها الذي هو منتقد قوى البصائر ومسبار غور الفهم والخاطر ومضمار ما يقع به التفاضل وينعقد بين الاماثل في شأنه التسابق والتناضل والذي اذا حذقت فيه أطلعك على اعجاز نظم القرآن وعلى خباء انصبابه في تلك

(١) كتاب في البلاغة نفيس طبع حديثا لبدر الدين بن محمد بن مالك الامام النحوي

القواليب ووروده على تلك المناهج والاساليب وأقدرك في نسج حبير الكلام على ما يشهد لك من البلاغة بالقدح المعلى وأن لك في ابداع وشيها اليد الطولى اه

لولا البلاغة ما كان للشعر قيمة ولا كانت له مزية ولا كان له في النفوس وقع

ان من الغرابة ان يذم انسان هذه اللذة الوجدانية أو يزهد فيها وهي كما رأيت من صفات القرآن وصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم (انا أفصح من نطق بالضاد ولا فخر) ان هذا لمن التحير والانقطاع بمكان



الكلام على الخمول والذل والاستكانة

ضعف الارادة من بواعث الحرمان . واهمال واجبات المرء نحو دينه ووطنه وأمته يلذ لصاحبهما الاستتار وتحمل الصغار والخضوع لارادة الظالمين ويرى ذلك سعادة ونعيماً تعروه رعدة الخوف لاقل صوت أو حركة

قالت عائشة أم المؤمنين [1] رضي الله عنها « ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خفقت ريح خفقت معها . فأف للجبناء »

ان الخمول والذل والاستكانة صفات يجب ان يبعد عنها المسلم الغيور لدينه . وكيف لا والاسلام مصدر العز والعظمة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . أهمل المسلمون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ففشت المعاصي وفسدت الاخلاق واختلت

(١) هي ام المؤمنين زوج (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوجها رسول الله قبل الهجرة بسنتين وهي بكر قد سبع سنين وبنا بها وهي بنت تسع بالمدينة وهي أحب أزواجه اليه (عليه الصلاة والسلام) كانت عالمة جليلة قال صلى الله عليه وسلم في حقها « خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء » ومدحها الله في القرآن « الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة » الآية وهي ممن أخذ عنه الامام أبو الشعثاء جابر بن زيد رضي الله عنه . توفيت سنة سبع وخمسين ودفنت ليلاً بالبقيع بأمرها

الآداب الحنيفية واهملت الواجبات واشتدت وطاة الظالمين وتمكن روح الانخذال من النفوس فضاع العلم والدين فصارت الأمة في زلزلة وشقاق واستحكمت الذبذبة والنفاق وأصبح كثير من النفوس ميكروب الضرر وبيت المفاسد . الا لا يمدح تلك الصفات الا صاحب الجبن والخور

قال بعض علماء الاخلاق: الجبن والخور تتبعهما اهانة النفس وسوء المعيشة ، وطمع طبقات الانذال ، وقلة الصبر والثبات في المواطن التي يجب فيها الثبات . وهما أيضاً سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ، ومن لواحقهما الاستخذاء لكل أحد والرضى بكل رذيلة وضيم

هذه امراض نفسانية ناشئة عن فقدان مزايا الحكمة وعدم تتبع اعمال عظماء النفوس بعقل صحيح . وقلة الاتعاظ بآيات التاريخ

جدير بان تتمكن الاهواء من النفوس عند فقدها لمزايا الحكمة والأدب والعقل السليم والعلم النافع الذي يلزم صاحبه العمل لصالح أمته من طريق الحكمة والموعظة الحسنة ويلزمه اجتناب الشؤون التي تنتج ضيق الفكر وفساد التصور وسقوط المروءة وفقدان الشهامة والاعجاب بالرأي وتمكن الغرور من النفس الامارة بالسوء

ليت شعري كيف يتسنى لمن تمكنت منهم تلك الصفات الذميمة ان يعرفوا سنن التطور الاجتماعي الضروري في البشر ماذا اكتب فيما هو مسلم بالبداهة ، أيحتاج النهار الى دليل؟

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يجنحون الى الاستكانة تحت كلاكل الاضطهاد والاعتساف باختيار منهم ويفضلون الخمول ويزهدون النفوس في الواجب من النهوض العلمي والاقتصادي

التطور الاجتماعي سنة الله في خلقه « ولن تجد لسنة الله تحويلا » وما السعي في معارضته الا ضرب من المستحيل. وحيث لا مناص منه فليعمل المصلحون الصادقون والعلماء المرشدون في صرفه الى طريق الخير والسعادة بانهاض الافكار الى العلم والعمل والسعي وراء الحق بجميع الوسائل ومقاومة كل فساد . والا وقع المحذور من الشر والشقاوة ، وانحلت رابطة الأمة ودخلها كل وصف خبيث وتخلقت باخلاق مباينة للدين

من الخداع والتغرير والجبن والخوران يتنصب المرء لمماكسة الحياة العلمية وهي الحياة الصحيحة المعتد بها عند العقلاء اذ العلم غذاء العقول كما ان العمل غذاء الابدان ويأمر بتحمل الضيم والمهانة ، والخضوع لما تبديه اليد الغاشمة من سلب الحقوق .

وكذلك ذم التنعم بنعم الله وقد خلقها الله للمؤمنين به الموقنين (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)

ألا ترى الى توفر الادلة على اباحة نعمه سبحانه بدون استثناء وكتابه ينطق بذكرها كل آونة والنهي عن الحرمان منها وأنت خبير بما ورد في سبب نزول قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون »

وذلك ان جماعة من كبار الصحابة أثرت فيهم خطبة رسول صلى الله عليه وسلم وشوقتهم الى نعيم الآخرة فعزموا على هجر التنعم وقطع آلتهم حتى لا يشتهوا النساء ولبس الخشن من الثياب والانقطاع الى العبادة واجهاد النفس بها ليل نهار ، فبلغ النبيء صلى الله عليه وسلم ذلك فقال « اما أنا فأقوم وانام وأصوم وافطر وآتي النساء والطيب ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » وتحريمهم ليس الا منع نفوسهم عنها وحرمانها منها وهذا معنى

قول بعض المفسرين في قوله تعالى « لا تحرموا » لا تقولوا حرمنا على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهداً منكم وتقشفا . وقد سمى الله تعالى ذلك اعتداء على حدوده فقال « ولا تعتدوا » على حدود الله أو على أنفسكم بحرمانها مما أباحه الله من اللذائذ فان لأنفسكم عليكم حقا . وقال تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات » الآية أي استمروا على التقوى وتحروا حسن الاعمال وأفضلها وأحسنوا الى الناس لما اشترط الله تعالى لانتفاء الجناح عمن طعم مستلذات المطاعم حصول التقوى والايمان فيه مرتين وفي المرة الثالثة حصول التقوى والاحسان اتجه ان يقال ما الحكمة في تكرير اشتراط التقوى والايمان فيه وعطف أحد المكررين على الآخر بثم الدالة على التراخي ولا تراخي بين الشيء وبعضه . فأجيب بأن التكرير للتأكيد كما في قوله تعالى « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » والتحقيق ان التكرير للتأسيس كما جرى عليه قطب الائمة [1] شيخنا في تفسيره الكبير (هميان

(١) هو الامام الكامل مجتهد القرن الرابع عشر الجامع بين المعقول والمنقول قطب الائمة شيخنا محمد بن يوسف اطفيش رضي الله عنه صاحب المؤلفات الكثيرة والتصانيف العظيمة الذي بخل الدهر بمثله في القرون الأخيرة ولد رحمه الله عام ألف ومائتين وستة وثلاثين هجرية ونشأ في مهد العلم والتربية الفاضلة

الزاد الى دار المعاد) وكثير من محققي التفسير

فان قيل قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا » الآية يفيد انتفاء الجناح عن المؤمن الذي طعم مباحاً بشرط ان آمن واتقى المعصية وعمل صالحاً . ومن المعلوم ان انتفاء الجناح عن المؤمن ليس مشروطاً بشيء من الايمان والتقوى والاحسان وانما

توفي جدنا والده رحمه الله وهو صغير ، وكفلته الوالدة ، وشاهدت فيه النجابة والذكاء والفطنة وهو في سن لم يعهد فيه لامثاله تلك الصفات ، عهدت به الى أحد المؤدبين فختم كتاب الله في مدة وجيزة ثم اشتغل بالعلم وحضور مجالس العلماء حتى قدم أخوه جدنا رحمه الله من رحلته في طلب العلم بمصر فعكف بين يديه مجداً حتى فاق أقرانه ثم اشتغل بالتدريس حتى ظهر على كل علماء عصره وبلغ درجة الاجتهاد وصار هو المرجع وكان نادرة الذكاء والاجتهاد وكان يحضر قبل ذلك على العلامة المفضال الشيخ أبي عيسى الغداوي رحمه الله اشتغل بالتدريس والتأليف قبل عشرين سنة من عمره وفسر القرآن ثلاثا وألف في التوحيد والفقه والحديث والبلاغة والنحو والصرف والفرائض والعروض واللغة والتاريخ والحساب والمنطق ، تآليفه تجاوزت ثلاثمائة مصنف بين كبير وصغير . وحج مرتين . ومن اجتهاده كان يؤلف في السفينة حريصاً على دقائق عمره لا تجده الا في تدريس أو تأليف أو في لوازم الدين أو ضرورات الحياة شديد المقاومة للبدع آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر شديد الغيرة على الدين لا يخاف في الله لومة لائم ذا هيبة ووقار وسخاء واخلاص لله وتبتل محدثاً ومروعاً باقي في روعه فيحدث فيقع ما حدث به ولا غرو فهو من أولياء الله ذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع اقطار الاسلام في مشكلاتهم ترد اليه الاسئلة منها ولو جمعنا اجوبتها لبلغت المجلدات العديدة وكان ذا منزلة سامية لدى الملوك كالسلطان (عبد الحميد الثاني) وسلاطين عمان وزنجبار واهدوه باوسمتهم اعترافاً بمنزلته السامية في العلم والدين تبرز عنه العلماء

الجناح في ترك شيء من تلك المذكورات لا في تناول المباح عند انتفاء شيء منها . فما الوجه في تقييد انتفاء الجناح عمن تناوله بقوله « اذا ما اتقوا وآمنوا » أجيب بأن قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا الخ لم يذكر لتقييد نفي الجناح عنهم بتحقق تلك الاوصاف فيهم بل المقصود منه توصيفهم بتلك الاوصاف السنية مدحاً لهم وثناء عليهم فالسائلون من الصحابة تم جوابهم بقوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » لانهم طعموها قبل ان حرمت عليهم فان تلك الاوصاف لو ذكرت لاشتراط نفي الجناح عنهم باتصافهم بها لما كان لختم الكلام بذلك وجه

ثم ينبغي المؤمن الانكفاف عن بعض المباح احياناً تحفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة وتوطينها على الاقتصاد الذي هو وسط بين رذيلتين : التقتير . والتبذير .

الفطاحل اخص من بينهم ذاك السري المعظم الشيخ سليمان باشا الباروني وبالجملة كان آية التحقيق والتدقيق والتضلع في ... الفنون وناهيك بتآليفه في اكثرها انتقل الى عالم الارواح عند تنفس الفجر يوم السبت ٢٣ ربيع الثاني ١٣٣٢

وقد اشبعنا الكلام على حياته الشريفة ونسبنا الخير الحفصي العدوي في تاريخنا له رضي الله عنه (الاقوال السنية في حياة قطب الائمة) ان ساعدتنا الاقدار فنمثله للطبع نسئله سبحانه تحقيق الرجاء . والعدوي نسبة الى بني عدي القبيلة العمرية قال في أرجوزته :

مع اجتماع في عدي بعمر وبالنبي في لؤي وزمر

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » (١)

وحديث « اياكم والتنعم فان عباد الله ليسوا بمتنعمين » (٢) محمول على ما قلناه وحمله على حرمة التنعم خطأ هائل . ولا ريب ان ترك التنعم رهبانية وقد قال عليه الصلاة والسلام « لا رهبانية في الاسلام » ولنا برسول الله اسوة حسنة

أولا ترى الى قوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض » وقوله « وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وغيرهما من الآيات كيف يتبادر الى الذهن النفع الذي تدل عليه اللام وكيف تشرق في سماء الاذهان النقية تلك الحكمة البالغة

على ان ما ينتقده الجامدون ليس بتنعم وانما هي بساطة في المعيشة عادية وربما عدت تقتيراً . وهل يريد هؤلاء ان تكون معيشة العقلاء كمعيشة الحيوان الاعجم وما هذا الا تنطع وليس من صفات الاسلام التي هي سعادة ونعيم

(١) في معنى ما قلناه قوله عليه الصلاة والسلام « ما عال من اقتصد » أخذ المعنى ابن الوردي في لاميته المشهورة الجليلة :

بين تبذير وبخل رتبة　　　وكلا هذين ان زاد قتل

(٢) الحديث في الجامع الصغير وفي جامع الشمل أورده شيخنا على قاعدة العمل بالحديث الضعيف في بابي الترغيب والترهيب

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون »

قال صلى الله عليه وسلم « ان لانفسكم عليكم حقاً . فصوموا وافطروا وقوموا وناموا . فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » ثم جمع الناس وخطبهم فقال « ما بال اقوام حرموا النساء والطيب والطعام وشهوات الدنيا . واني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهباناً فانه ليس في ديني ترك النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا ولا اتخاذ الصوامع . وان سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد . واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان . واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشدد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم » وهذا لما حرم الجماعة من الصحابة على أنفسهم الطيبات والمستلذات كما مر

العقلاء ينقسمون بالنسبة الى كمال اللذات على قسمين . فقسم يرى ان سعادته في اللذات الحسية من المأكل والمشرب والمركب والمنكح والملبس ، فيحمله هذا الاعتقاد على التأنق في ذلك والتفنن فيه ، ويراه هو الكمال الانساني والغاية والخير المطلوب والسعادة القصوى وما ركب فيه من القوى انما هي لاجل هذه

اللذات والتوصل اليها . وهذا هو اعتقاد الطبقة المنحطة رعاع الناس وجهالهم وسفلة القوم وسقاطهم عبيد الشهوات الخسيسة وما علموا انهم يشاركهم في تلك الصفات الحيوان الاعجم

وقسم يرى اللذات الحسية مهما بلغت من الحسن والجمال فهي عوارض غير مقصودة بالذات . وانما الكمال والسعادة في اللذات المعنوية ، من العقل والعلم والحكمة والفوز على الاعداء وشرف النفس والشجاعة والعفة وكرم الاخلاق ومقارعة الباطل ببرهان الحق والعمل للسعادة السرمدية والنعيم المقيم ، وأمثال هذه الكمالات . وهـذا القسم هم المشاركون للملائكة المقيمون بينهم بروحانيتهم المستنيرون بالنور الالهي لا يرون للحسيات وزخارفها شاناً ولا تختلبهم خدائع الطبيعة الجسمانية ولا يحزنون على فقد محبوب ولا يتحسرون على فوت مطلوب . يستمدون من فيوض الآمال ويستعذبون أشد الاهوال . وما ذلك الا لما في نفوسهم من اللذة المعنوية الصحيحة ، يعسر فك رموزها على النفوس التي أخلدت الى الحسيات والجهل المهين

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

يذكر لنـا التاريخ رجالاً يأتون ضروباً من عظائم الامور وأئمة تجرعوا كؤس الحتف نصرة للحق ، واشتياقاً الى الحق تعالى . أترى ذلك منهم لسوى تلك السعادة والكمال المعنويين في

نفوسهم ؟ كلا « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

كيف كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه

ولنعطر كتابنا بنفحة من عطر الشمائل النبوية . ولنأت للقاريء بيسير من سيرته صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة رضي الله عنهم . ليرى من بعث من مرقد الجمود تحـامله في دعوى التعليم على الاسلوب النبوي ﷺ . والجامدون هم من السيرة الغراء أفرغ من جراب بني عامر ، وعنها أبعد من الارض عن السماكين

(فما كل من صلى يقال مصلياً فشتان بين الاسم والفعل في الامر)

كان عليه الصلاة والسلام أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً وأسرعهم اداء وأحلاهم منطقاً حتى ان كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسبي الارواح ويشهد له بذلك اعداؤه . اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين افراد الكلام قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه وكثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه .

يجلس اليه أصحابه فيعلمهم الكتاب الذي تعرف به الكمالات وتتادى به جميع العبادات وتستفاد منه جميع العلوم ويوقف على مجامع الاخلاق الحميدة وخير الدنيا والآخرة . والحكمة من الوعظ والارشاد والدلائل والاحكام والمصالح والسنة والتسبب بامور الدنيا لتتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح والمعرفة بالدين والتفقه فيه . ويعلمهم من اخبار الانبياء والأمم الخالية والايام الماضية وما هو حادث وكائن من الامور التي لم يكونوا يعلمونها من احوال الكون ونعوت الكمال . ويعلمهم ما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم . لذلك مدح بانه على خلق عظيم . يجلس اليه البدوي الفظ الغليظ الطبع فيصدر عنه وهو من خير الناس وأرسخهم ايماناً . قال تعالى « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » كان حريصاً على المؤمنين عزيزاً عليه مشقتهم رؤوفاً رحيماً ليس بصخاب ولا لعان ولا شاتم . « داعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً » يرسل الكلام وهو قريب من حد الاعجاز فيلج الاسماع بلا اذن ويستقر في القلوب فتصير منيبة الى بارئها عز شأنه حتى هدى تلك الأمة التي كانت من الانحطاط بمكان وزكاها من كل الارجاس والادناس (وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض)

فأصبحت تخر لها قنن الشامخات وتستكين لارادتها الأمم العريقات وتنشر في العالم أعظم المدنيات

وقد أوتي عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم التي لم تعط لاحد جمعت من الحكمة والفصاحة والبلاغة مابهر العقول وعني بها فلاسفة الامم الاجنبية ، وهي الذ شيء لدى القلوب الحية . سطعت انوارها في العالم العلمي واهتدت بها نفوس . واتخذها اكابر الكاتبين في مقدمة الكلمات الذهبية . منها قوله صلى الله عليه وسلم « تق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » وقوله « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » وقوله « كل الصيد في جوف الفرا » وأمثالها كثير

هذه صفاته وتلك أخلاقه التي مدحه عليها القرآن وجدير بالمؤمن المتبع له صلى الله عليه وسلم أن يتخلق بأخلاقه الكريمة ويتصف بصفاته الجليلة البالغة نهاية الحسن والجمال .

وان تعجب فعجب قول القائل (المسكين) ان الاشتغال بالانشاء والفصاحة والبلاغة مناف لقوله عليه الصلاة والسلام « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » كلام يضحك الثكلى . لا ينبس به من له أدنى المام بالعلم ، ولا أدل على خذلان المرء من صرفه عن التجمل بصفة (سيد الوجود) عليه الصلاة والسلام

تلك الطريقة المثلى والسنة الغراء التى يجب ان تسلك في التعليم حتى يكون له تأثير في الآداب ووقع في النفوس يظهر أثرها بفوز المتعلمين وسعادتهم في معارفهم وذلك لا يكون الا متى كانت نفوس العلماء المعلمين متشبعة بروح الاخلاص لله والاخلاص للدين والأمة . وهذه الصفات السامية تكون في النفوس الطاهرة . أما النفوس المتهالكة في الذاتيات والاعراض عن الله وصرف الوقت في غيبة ونميمة وهتك اعراض وتتبع عورات الناس ونصب نفسها ميزاناً مرجحاً لاحوال الناس والاسترسال في الطعن فيمن انتقد مفسدة منهم أوظهر برأي سديد والسعي في الايقاع بالابرياء واصطناع الخائنين ومعارضة الاصلاح خذلاناً وانفاق الاموال في سبيل الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به والتخوف من سياسة الظلم والارهاق ظاهراً وتأييدها باطناً واثارة الحمية الجاهلية واساءة الظن بذوى الخير والاخلاص والسعاية بهم . وامثال هذه الضلالات والموبقات التي شقيت بها شعوب وباصحابها فما هي الا بلاء وفتنة وشقاء

(اللهم انا نستعيذ بك من الجهل وخدعه المذلة ومن بوادر الحمق المضلة . ونسئلك السعادة بعقل رادع يستقيم به من زل . وعلم نافع يستهدي به من ضل)

تلك نفوس لا تنفث في افكار المتعلمين الا سموماً قاتلة

وجرائم فاتكة ولا تزيد مواهبهم الا قتلاً ومسخاً ولا اخلاقهم الا فساداً

ولا تعجب من هوس الفافلين متى عدوا تعليمهم القاتل للقوى العقليـة والمعقم لفكر الصالح من التعليم النبوي لان الهوس طرف من الجنون . وخذ لك بالمفحة النبوية وفلسفة التعليم التي مرت في كتابنا . واعتقد ان من المواهب الرحمـانية للعبد موهبة التعليم الصحيح والمقدرة على ايجاد رجال لمستقبل تسعد بهم الأمة والدين . وذر الغرور فانه مما يطيح الانسان . والجمود فانه موت في عالم الحياة . واعمل لواجبك الاجتماعي كما تعمل لواجبك الفردي . فكل ميسر لما خلق له

الـكلام على الجمود

الجمود علة من أكبر العلل وآفة من أشنع الآفات تثل عروش الأمم وتذرها أثراً بعد عين . ولقد أصيب بها المسلمون منذ قرون حتى نال منهم العدو كل مبتغاه . وبلغ فوق ماتمناه . ولم تزل تتكبد آلام هذه العلة وتتجرع غصصها كأن أصحابها أقسموا ان لا تبدو حركة اصلاح أو نهضة فلاح الا قاموا اليها مصيحين بمعاول الهدم وتسلق القائمين بها بالسنة حداد

يصح ان يقال : الجمود هو عدم التصرف بالمواهب العقلية

في الحوادث والعلوم وتطبيق الحديث منها على أصول الشريعة .
ويصح أيضاً ان يقال : هو رؤية النفس ان التمسك بالمألوف هو الحق والخروج عنه باطل ومروق

لو انتبه المسلمون واتعظوا بتقلبات الدهر ونظروا الى ما كانت عليه الأمة في عهد استنباط العلوم وما أوتيه أولئك المجتهدون من المقدرة على ابراز كنوز القرآن والأخذ بالعلم الصحيح كما قدمنا لما كان ما نشاهد الآن من المبكيات

ورب قائل : ان ما حل بالمسلمين من الانحلال أمر طبيعي للأمم وسنة الله فيها . فنقول : نعم ذلك نتيجة الاهمال وترك الواجب « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

واليك بعض ما ذكر في كتاب (الغرائز) من آثار الجمود في النفوس : ان أدنى انواع المحاكاة ما حوفظ به على الاصل بدون تصرف ولا اتقان على النحو الذي يتبعه صناع الفخار في قنا ، عادة ألفتها الأمم الساذجة ووضعتها موضع الاحترام . زرت مصنعهم يوماً ، ولما رأى بعضهم ان الشك داخلني في مقدرتهم الصناعية عمد الى طين وسألني ان اقترح شيئاً يصنعه ثم انزوى فصنع طستاً وابريقاً يجمعان الى دقة الصنعة رقة الذوق ، ثم اعادهما الى عجين كما كان ولم يرد ان يدخل ما ورثه من اسلافه شيئاً خوفاً عليه ،

كأن بدعة الصناعة من البدع الدينية التي لا مسوغ الى ادخال التعديل عليها

واذا وصفنا المحاكاة بأنها من انواع المضارة وجب علينا ان نفسر ذلك بضرورة الاطلاع على المحاكى وبحثه وتمحيص أدلته ، لتندفع النفس الى محاكاته بوازع صادق . والمحاكاة روح توثق الرابطة بين الفرع وأصله ومن هنا نشأت محبة المحافظة على القديم. وقد تغلو الامة في احترام قديمها فتقتصر على ما أوصلته اليها الوراثة ، وتغض الطرف عن التغيير الذي تدعو اليه الحاجة واطوارها فتكسد بضاعتها وتبور صناعتها ، ويسل عليها الدهر سيف الحرمان وتبطش بها عوامل الفناء

ومن أمثلة الجمود والغلو في حب القديم والتحيز الى مذهب « ليس في الامكان أبدع مما كان » ما روي ان أحد الهنود الذين يحرمون قتل الحيوان وأكله ، قد باحثه عالم الماني واراه بالعيان نقطة من الماء الذي يشرب به تحت المنظار (المكبرة) ، فتخيلها لكبرها غديراً من الماء ، قد اكتظ بالهوام السابحة فيه ، فلم يقتنع الهندي عما رآه بعينه وسخر بقول هذا العالم وكسر المنظار اصراراً على الباطل وعناداً للحق اه

ومن الجمود ما يعتقده السذج ان لبس الخلق من الورع وتغييرها بالنظافة والكي مثلا او التبييض بدعة . والحال ان

الدين يامر بالنظافة ومنها وظائف الطهارة للعبادات وقال عليه الصلاة والسلام « النظافة من الايمان » سئل احد هؤلاء عن فن الجغرافية فاجاب بسخرية لاحاجة اليه اولا منفعة فيه فاذا كنت تريد السفر الى قارة مثلا فاحمل صرة من المال حتى اذا جئت الى ربان الباخرة فسلم له الصرة واطلب منه ان يوصلك الى اي جهة شئت

انظر الى هذا الجمود الغريب . يامر الانسان ان يكون كالانعام أو كالبضاعة ترفع وتوضع بارادة الربان كأنه لايملك عقلا ولا ارادة . وهذا المسؤول ينعت نفسه بمنار الدين وقدوة الصالحين الى امثالها من الالقاب الفخمة

قل لمن يدعي سليمى سفاها لست منها ولا قلامة ظفر

وانا اذا نظرنا نظرة عامة نجد علة الجمود من اكبر العوامل للايدي السيئة الخفية العاملة لتقويض مميزات الاقوام وطمس معالمها ومقاومة العلوم النافعة الناهضة بالامة من وهدة الوقوع كي يتسنى لها ازدرادها وتسخيرها آلة لمشيئتها ، ولم تخف عنا قرائنها التي كادت تلمس باليد ، ولكن النفوس الموبوءة ربما لاتشعر بها وهي مسخرة لها « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون »

الكلام على تضليل العاملين

لاستاذ القوم

هل أتاك نبأ الذي نفثت صدره الآثام . وأثارت حفيظته منه باطن الاسقام . ذلك الذي نادى بضلال الذين يطاردون الامية والجمود . وابوا الاغضاء عن اجرام ذوي الجحود . ذلك ما وقفت عليه من أول كتابنا من جميل السيرة . ونشر الفنون . وتنوير الفكرة الخامدة وتغذية عقول الشبيبة بها لتكون ركن المستقبل في الدين والحياة . والدعاية الى الله واحياء الحنيفية السمحاء . ومحجة الاسلاف البيضاء

يظن من خدعته نفسه وغرته الاماني الكاذبة انه على بينة من أمره في كل أحكامه وهو خطأ مبين . ما كان لمن في قلبه مثقال ذرة من الايمان الصحيح . وله مسكة من العقل الرجيح ان يسترسل في الانهماك . ويتوغل في ظلمات الهوى حتى يحمله ذلك على تسفيه الحق والحكم بالباطل والهلاك على من وفقتهم العناية الربانية الى ايجاد نهضة علمية تعمل للدين والدنيا في عصيب من الفتن . انطماس معالم الدين . انصراف عن العلم ولا حياة الا به . انسياب الاوضاع والتقاليد الاوربية وهي ترمي الى القضاء علينا وابتلاعنا وقتل قومياتنا . ان هذا لعمر الحق جناية على

الدين . واهانة لاهله

ثم غلا في الحكم . وشط في الخرق والاثم فقال ما حكمنا بالضلال الا على الولد الضال الخ ياترى كيف يتأتى الحكم بالضلال على الولد وانت خبير بانه لايطلق في مثل مقامه الا على الكبيرة نفاقا أو شركا ، وكل منهما لايصح اطلاقه عن غير البالغ لعدم تكليفه ، ولا وعيد ولا براءة الا عن الاخلال بالدين اعتقاداً وعملا . وانما الحكم على غير البالغ مذهب الخوارج . الصفرية . الازارقة ومن نحا نحوهم ، يحكمون على الاطفال كالمكلفين بالبراءة والكفر ، فاستحلوا الدماء والاموال ، فضلوا عن سواء السبيل . نعوذ بالله من الحرمان والضلال المبين

وليس بجائز حمل اللفظ على معنييه الحقيقي والمجازي . وذلك من المفتون يدل على جهله وتلاعبه والا فكيف ساغ له الحكم على غير المكلف بالضلال ولعله أراد الحكم بالمثال فيكون كماش في الدجا ليس يهتدي

يتبين للقارىء الكريم كيف تنقاد النفوس الدنيئة للهوى وتكون أسيرة له حتى يفضي بها الى تطبيق الاحكام حسب الشهوة كتضليل وتفسيق المحق . واخلق بمن كان على هذه الصفة ان لا يؤبه له ولا يعبأ باحكامه . اذ ليست أحكام الشريعة منوطة بالشهوات ، وانما هي جاءت بالنهي عن الهوى والهوى مهلك

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » يجعل ستر المروءة مهتوكاً ؛ ومدخل الشر مسلوكاً . ان كان الذين يسعون لاسعاد الأمة بنشر العلم واعزاز كلمة الله ومقاومة الأباطيل والوقوف في وجه الظلم ضالين بهذه الاعمال فمن هو المهتدى المستقيم ؛ أهم الخونة الذين لا يفترون عن السعاية بالناس ظلماً وعدواناً ، أم هم الذين يحملون الناس على البقاء في الجهل ونبذ العلوم ؟

(ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء)

ما أبعد هؤلاء عن ادراك مقاصد الشريعة . وما أجرأهم على التلاعب بالاحكام . وما أحقهم بالوعيد في قوله تعالى « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون » . اذ لا قصد للمفتون وأمثاله في التأويل الباطل وخطأ الحكم الا تضليل الطبقة البسيطة استمالة لها واصطياداً في تلك المياه الآسنة وتفريق الكلمة مصرين على ذلك وهم يعلمون . ولا نلوث كتابنا بسوء أعمالهم وسود صحائفهم . ولقد استبان المنهج القويم لأولي الأبصار وهداهم المولى عز شأنه الى سلوكه « وكفى بربك هادياً ونصيرا » وكفى المفتونين واعظاً وانذارا أواخر هود

الكلام على السلف

السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا أهل جهاد في سبيل الخير أهل تواصل وتراحم وصدق واخلاص وعزة واباء . يأنفون من ارتكاب العار ولا يحيدون قيد أنملة عن منهج المختار ولو وقعوا في أشد الاخطار ولا يرهبون ظالماً ولا يخشون جباراً الا الملك الجبار . أهل ورع وثبات وسماحة وسلامة . قلوبهم مملوءة ايماناً وصدورهم موفورة حكمة وايقاناً . يخضعون للحق ولو من أصغر الناس ويأنفون ان يستسلموا للباطل ولو من أعظم السواس . يرون المذلة كفراً والعزة ايماناً « اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانيـة في سبيله لا في سبيل الطاغوت . يبيتون لربهم سجداً وقياماً

ومن آثارهم الجليلة سيرتهم وأنظمتهم المحكمة في وظائف الدين وتربية النفوس وتنفيذ احكام الله بحيث صارت من أعظم أنظمة الشعوب الراقية . مستمدة من الكتاب والسنة وافكار الائمة الاعلام الذين نظروا الى العالم بنظر الحقيقة وأخلصوا الى الله في أعمالهم فاستمدوا من أنواره المشرقة به ضمائرهم حتى أصبحت تلك المؤسسات العجيبة مما يدهش الألباب في احكامها

وضبطها يسعى الباحثون عن أحوال الأمم وعوائدها الى الوقوف عليها واكتشاف آثارها واسرارها

وكانت في عهد الاستقلال التام تسير الأمة بتلك النظامات كافلة لها في احوالها المدنية والدينية والاجتماعية . حافظة ذاتيتها وقوميتها واخلاقها الطاهرة . منذ انتقل الشعب الى ذلك الوطن القاحل فراراً من الفتن واحتفاظاً على الذاتية شأن الشعوب العريقة . وابتعاداً عن تلك الغارات الشعواء التي ضربت اطنابها قروناً في شمال افريقية بين تلك الشعوب المتجاورة التي يجمعها دين واحد ووطن واحد ولغة واحدة وجنس واحد وما يقدح زنادها الا التعصب الفاسد وتقليد أزمتها لافراد لا علم لهم بتسيير دفة السياسة وانما هم اسراء التقليد الاعمى . حتى أصبحت تلك البلاد بالاقع بعد العمران متنائية الاطراف بعد الحضارة والارتباط التام . ولذا سابقاً في قافيتنا :

مالي أراكم والحوادث جمة فرقا وكنتم خير ناد واق
كانت أوائلكم بعز شامخ ركبوا مطايا لم تنل بلحاق
شم الانوف ذوو الشهامة والتقى طب القلوب وقرة الآماق
تبني مآثرهم بحسن مسيرهم جمعا بغير خيانة ونفاق
كسبت لهم احلامهم حسن الثنا فسموا بمجد سار في الآفاق
رفعوا لواء الدين حب محمد وذخيرة عظمى ليوم تلاق

وتواصلوا وتراحموا وتعاونوا وتوادوا وتجمعوا بوفاق
ايامهم غرا محافلهم ريا ض الانس تحيي النفس بالاشراق

تلك نبذة يسيرة من سيرة السلف الصالح التي لا تشم ذرة منها في الذين لا يبالون بتضحية الدين والشرف القومي في سبيل شهوات شيطانية . وما هي الاصد عن سبيل الله واضرار بالمسلمين لو كانوا يعقلون . لو فطنوا لنوائب الدهر وتحفظوا من عواقب المكر لكانت مغانمهم مذخورة ومفاخرهم مجبورة

زعم المفتون اننا نعرض عن السلف ونجحد فضائلهم ونذم مسالكهم وهذه اكذب كلمة قيلت . ولا قائل بفضل هذا العصر على عصر النبوة والسلف ولا بأفضلية أهله وهم عالة على السلف من بحورهم استمداد الأمة في العصور بعدهم كيف لا وهم الاقربون الى زمن النبوة والصحابة . اما وجود المزايا التي لم تكن في عصرهم فلا ينكره أحد له أقل ادراك

ان الافضلية موهبة من الله تعالى وكرامة يختص بها من يشاء من عباده « ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

لا ريب ان الاسلام منتشر في اطراف الكرة الارضية بما لم يكن في العصور الاولى واتسعت العلوم وكثرت الفنون وازدهت المدنية وبسطت اجنحتها على العالم طرا وترقى التعليم

وانتشر ومع هذا كله لايقدر ان يقول عاقل بفضل هذه العصور على عصر النبوءة ولو قالها أحد لعد من المعتوهين

كيف لا وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام « خيار امتي اولها » (١) وعنه « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » (٢) وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام « خير امتي قوم يؤمنون بي ويعملون بامري ولم يروني . فاولئك لهم الدرجات العلى الا من تعمق في الفتنة » (٣) ومع ذلك لامنافاة ولا مناقضة . ففضيلة الصحبة لايعدلها عمل لمشاهدة سيد العالمين صلى الله عليه وسلم ، والصحابة كانوا يبذلون مهجهم في اعلاء كلمة الله ونصرة نبيه عليه الصلاة والسلام وجاهدوا باموالهم وانفسهم ولا سيما وقد صرح المولى عز شأنه بمدحهم في كتابه العزيز « رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ـ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » الآية

(١) رواه الطبراني في كبيره

(٢) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وشمس الدين في الدليل

(٣) رواه الامام الربيع بن حبيب في المسند الصحيح عن الائمة ابي عبيدة مسلم عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهم

واذا ذكرنا فضل العصر او فضل فرد من افراده فلا يلزم منه انه في الفضل اكثر من عصر النبوءة او أفضل من الصحابة أو السلف الصالح . واذا ذكرنا حسن التعليم ورقيه فذلك بقطع النظر عن تأثير تعليم رسول الله ، اذ لا يعقل ان يوازيه او يقاربه في التأثير غيره من التعليم . وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم . وعليك بمظان موضوعنا في المطولات تستفد

غير ان الدود اذا اعياه الدليل واخمته الحجة التجأ الى تكليف اللوازم أو اختلاق الدعاوي ولو تلهم في اذياله وتسكع في جهالته

ولا اعجب ممن يبتاع الضلالة بالهدى والدنيا بالدين . يستبيح الاعراض ويشي بالمسلمين فيناهم العذاب الاليم ممن لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة . وهم يعدون انفسهم في زمرة المؤمنين . قال صلى الله عليه وسلم « من سعى بمؤمن اقامه الله مقام ذل وخزي يوم القيامة » ولا ارى هؤلاء المتلبسين بهذه الصفة الخبيثة الا نفوسا مسخها الله على مكانتها وسلب منها ايمانها فامست في الهالكين

قف معي ايها العاقل برهة وتفكر فيما طرأ على المسلمين من القبائح والرذائل ونبئني أتلك الصفات تحل في قلوب مملوءة ايمانا خاضعة للباري فيما يأمر وينهى ام هاتيك قلوب في أكنة مما

تتلوه من كلامه العزيز الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم . انك تشاهد على مرأى ومسمع من العموم سعاية وغدرا ورياء ، ومكابرة وكذباً ونفاقاً وركوناً الى الذين ظلموا وتسمع بجود حاتمي في سبيل الطاغوت « وقد أمروا ان يكفروا به » بينما كنت ترى البخل بدرهم في سبيل العلم أو نفع عمومي ، ترى ارتشاء وخيانة وتوعداً بالسوء لا لشيء الهم الا هوس في النفوس ووصب في القلوب وخيال فاسد علق بالاذهان الضعيفة

أمور يضحك الجهال منها ... ويبكي من عواقبها الحكيم

استمرءت نفوس هذه الخلال الذميمة وعدتها رطباً جنياً وسلاحاً باتراً تعده ليوم الكريهة ، فصدق عليها قول أبي نصر رحمه الله (١) :

أيا عجبا اما الديار ديارهم ... وسكانها قوم أطل تبارهم

ألم يأن لهؤلاء ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ويتعظوا عما حل بالمسلمين من النكبات والشتات

رب ان الهدى هداك وآيا ... تك نور تهدي بها من تشاء

ليس من الاسلام في شيء من يخذله أو يخونه أو يعين على

(١) هو أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي شاعر الفقهاء وفقيه الشعراء نظمه كله اخلاق وحكم وعلوم دينية له في التوحيد والصلاة منظومتان من أجل المتون فائدة واحكمها نظما وامتنها حجة ومتونه كلها في البحور غير الرجز . كان بليغا لغويا وهو من علماء القرن السابع

اضعافه . أو يتهاون به أو ينقصه . قد أكمله الله واتم به نعمته على المؤمنين واختاره شريعة للانام لاعمل بسواه ولا قبول لما عداه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً — ان الدين عند الله الاسلام »

هل يعقل ان يبقى هـذا الدين العظيم الذي أسعد البشر بكمالاته صورة في نفوس أهله أو يزعم بعض من ينتمي اليه ان العلم الحيوي يخالفه . فيفضي به الأمر الى الاختلاق والاعتراض بالسوء والطعن على كل من يبدو بشيء من العلوم النافعة . ان الاسلام لا يؤيد بالسيئات والعيوب . وانما يؤيد بالحسنات ومحاسن الاعمال . وقد رأيت يسيراً مما يجب على المسلمين امام الحالة العصرية وسترى بحول الله أيضاً . ولا التفات الى اقوال الذين أضناهم الجمود ولم يرق لهم ان ينهض المسلمون الى اثارة الاذهان واستعمال المواهب العقلية واستخدام العلوم ، حتى يكون ديننا في عز ومنعة بقوة أهله لا تؤثر فيهم ترهات الذين لم يالوا جهداً في مقاومته بدعاة مبشرين تحت ما تسميه حكوماتهم بحرية الاديان . ماذا يضر الدين قط ان يكون المسلمون في العزة والبأس والرفاهية التي عليها الأوربيون باستخدام اللوازم واستنتاج دقائق الحياة واستفراغ الجهد والطاقة واستعمال حتى لحظات اعمار البلد ؛ قال صلى الله عليه وسلم « اعملوا ولا تغتروا

فكلكم ميسر لما خلق له » . انا نرى بابصارنا الافراد الذين ينزحون الى اوطاننا من الأمم يعيشون بيننا باحترام زائد ومأمن من كل غائلة لما تبديه حكوماتهم من الاعتناء بهم وربما آلت نكبة تحل بهم الى مسألة دولية تنذر باصطلاء لهيب الهيجاء . أليس ذلك الا مظهراً من مظاهر القوة والعظمة . ولو كان المسلمون لهم قوة السلطان وشدة الشوكة لكان الافراد منهم النازحون الى الاوطان النائية لمآرب في تلك المثابة . وانك لتسمع من الذين وردوا اوطان أوربا يثنون على الحرية التي يلفونها ما يبهرك ، وما ذلك منهم الا حفظاً لكرامتهم من ان ينسب الى اوطانهم اضطهاد وحيف ، ويتنافسون في ذلك اكتساباً لمودة الشعوب وثنائهم

ان ذلك هو ما جاء به الاسلام والقرآن « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم » أي تحسنوا وتعدلوا فيهم فان الله يحب العدل . وبه قامت السموات والارض . ويأمركم به لان ثناءه تعالى على وصف يتضمن الأمر به كالأمر

ولنأت للمطلع البصير ببعض مفتعلات ضعيف الرأي وواهي الحجة لترى ما ينتحله أسير الجمود وعبد الهوى

مختلفات للتمويه بشيء واثارة الخواطر

قال : لا يرى لسلفه فضلا ولا لكلامهم وزنا الخ . وهذا كدعوى الازدراء بهم والتهاون بكتبهم [١] وذم أسلوب النبيء أو الصحابة أو التابعين في التعليم ودعوى ان اتباعهم والاقتداء بهم ضرب من الجمود . واعمالنا هي سيرتهم حيث كانت لتقوية الدين وايجاد الفكر العلمي ودرس احوال الظروف وتنشيط النفوس الى ما خلقت لأجله من حسن اعمال الدنيا والآخرة

وتكايفه لازم أفضلية آخر الزمان على عصر النبوة . على ان أفضليـة ذلك العصر من المعلوم بالضرورة كما رأيت لايوازيها فضل بل ولا يقرب منها وان وجدت مزايا في عصر مثلا (فالمزية لا تقتضي الافضلية) ومن المسلم ان العصر متوفر الاختراعات وسهولة المواصلات براً وبحراً وجواً وانتشار التمدن والعلم بسائر فنونه ولا يقدر أي كان أن يجتريء على التصريح بأفضليته على عصره صلى الله عليه وسلم وأنى ذلك ولو بلغ أهله الذروة العليا من الصلاح والحكمة ، فكيف وقد عبث بالاسلام كثير من المنتمين اليه في كل صقع غير مبالين بما يحتج به أهل الشرك من

(١) يقول هذا وهو يعلم ان الذي تلقى منه ومن شرحه الدروس وسلم العامة في تاريخ الائمة ومختصر الوضع ومتن السند الصحيح وكتاب الصوم ومتن نور التوحيد وعقيدة العزابة وجامع اركان الاسلام ومن تلاميذه من يحضر بعضها

سوء أعمالهم على الدين الاسلامي

ودعوى انكار السموات والمعراج وكل منهما منصوص عليه سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم . ولعل هذا ممن يقطع باسرائه صلى الله عليه وسلم بدنا لاروحا ، مع انه لا دليل قطعي ، لذا قال قطب الائمة رضي الله تعالى عنه :

(دع ذا وقل ان تشأ في اليقظ أو حلم)

والشباب في معزل عن تعلم دينهم . وانتقاص عبارة السلف القاء لتنقيصهم رحمهم الله في قلوب التلاميذ وقد مر لك ما يناقض هذا وتنقيص العبارة لايحط من كرامة المؤلف وفضيلته متى كان من أهل الفضل كذا السلف لا يبلغ شأوهم ولا يحط من مقامهم الاسنى انتقاد عبارة أحدهم

(لقد الجموا المستصعبات وأسرجوا

فهل راكب أو سالك حيث انهجوا)

والانتقاد الصحيح لا ضير فيه بل هو مما يثبت قدم أولي المعرفة ويبين فضل المؤلفين ومكانتهم من بين اضرابهم اذ الفضل لاينكر ، وجل من لايخلو من عيب

(ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلا ان تعد معايبه)

والاصداع بالحق شيمة الصادقين . وما هذا الا ملجأ لركاكة

العبارة ورداءة الاسلوب الخالي من حسن النظم والسبك الحاوي لضعف التأليف والانحطاط الى درجة تمجها الاذواق السليمة ولا أشد افتراء من دعوى تفضيل العلوم العصرية على القرآن التي هي قطرة من يمه وجزء من كله وهل يقول بهذا من في شرايينه ذرة من دم الاسلام أو في خلده لمظة من الايمان

ماقال بهذا اعداء الاسلام بل أجلوا القرآن وقدسوه ، فكيف بأهل القرآن العاملين الراسخي الايمان . سلف لنا ان من وسائل مقاوي الاصلاح افتعال ما يظنون تأثيره في النفوس كي يستخدموه ولو حملهم ذلك الى أعظم فرية . ولا سيما ما هو مظنة الكفر والمروق من الدين . ولكن ذلك لا يزيدهم الا خسراناً وخيبة « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » . ان تفضيل كلام البشر على كلام الباري كفر بدون ريب ولو صدق الآفكون في افكهم لاندلع لهيب براكينهم وهم بالمرصاد وهذا كدعوى انكار السموات ويأجوج ومأجوج وكلها من المنصوص عليها المقطوع بها وانكار ما نص عليه القرآن تكذيب لله تعالى وتقدس وهو كفر . وهذا كله دليل على تجردهم من العلم وخلوهم من الفكر الصحيح اذ لا يفرقون بين انكار الشيء والبحث في حقيقته . وسيأتي الكلام على كل منهما ان شاء الله

وكزعم تحليل بعض صور الربا والبيوع المنفسخة لاقتضاء

سياسة العصر واتهام العلماء العاملين لتكوين النهضة العلمية ومراقبة الشباب المتعلم بالغاية الشخصية والدليل على الافك المبين اقتصار الخراصين على مجرد الحكاية بدون الاستشهاد بقضية صحيحة . والمخلصون لا تؤثر فيهم الافتعالات ولا يستفزهم تلويك السنة المفترين وحسبنا ان نقول لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون

روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « أتدرون من المفلس قالوا المفلس من لا دينار له ولا درهم له ولا متاع . فقال : انما المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا وقذف هذا ، فيقتص لهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار » (١)

ومن آثار السلف الصالح « لا يجوز حمل الناس على التهم » وكانوا رحمهم الله أهل توقف واحتياط وتحرز في احكامهم وتثبت وأقمن بهم ان يكونوا كذلك لقوله عليه الصلاة والسلام « المؤمن وقاف والمنافق وثاب » (٢)

---

(١) رواه شمس الدين أبو يعقوب في الدليل والبرهان عن أبي هريرة رضي الله عنهما

(٢) رواه البدر الشماخي في السير عن بعض المحققين

الكلام على التفقه في الدين

مما ينبغي ان لا نهمل الكلام عنده التفقه في الدين الذي ذكره الله تعالى في قوله « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (١) وفي رواية « اذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده » (٢)

التفقه في الدين تفهم الاحكام الشرعية اما بتصورها وبالحكم عليها حتى يعلم ما يأتي وما يذر ، واما باستنباطها من أدلتها . كل ميسر لما خلق له . وانما كان التفقه في الدين سبباً لحصول الخير عند الله تعالى لان الدين هو السبيل الى رضى الله وهو باب رحمته « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه »

والآية انما تحض على طلب العلم أي فهلا نفر من كل فريق طائفة الى اكتساب العلم والتفقه أي وطائفة الى الجهاد فتفيد الآية الأمر بتوزيع الاعمال العامة بين الجماعات منها الى النفير للجهاد ومنها الى تحصيل العلم وتلقى الشريعة منه عليه الصلاة والسلام « ليتفقهوا في الدين » ليعالجوا الفقاهة ويتجشموا

(١) في المسند الصحيح للامام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري
(٢) رواه البزار عن أبي مسعود

المشاق في أخذها وتحصيلها « ولينذروا قومهم » وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم « لعلهم يحذرون » عقاب الله فيعملوا عملا صالحاً

قال بعض المفسرين يصح عود الضمير على النافرين ويكون تفقههم في الغزو بمشاهدة نصرة الله لدينه واظهاره فئة قليلة من المؤمنين على فئة كثيرة من الكافرين ، وتعلمهم أساليب الكر والفر وضروب البسالة . وهذا الوجه مروي عن بعض التابعين

وأنت ترى كيف جعل التفنن في الجهاد ضرباً من التفقه في الدين لما يعود به عليه من الفائدة العظيمة من النصر والتأييد والتمكين وفيه تدريب النفس على تحمل المشقة لأجل السعادة. قال بعض المحققين هو أشبه بظاهر الآية [1] نظرا الى مادة نفر لانه بمعنى الخروج الى الجهاد ، وبعض اختار الاول نظر الى مادة فقه [2]

في جامع البيان : أن أولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الاسلام وظهوره على الاديان من لم يكن فقهه

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزى
(٢) أنظر هيمان الزاد الى دار المعاد والكشف

وانما اختير هذا الوجه عند بعض لما يدل عليه لفظ النفر فانه يراد به عند الاطلاق غالباً الخروج الى الغزو والجهاد ولموالاة لفظ التفقه له كما مر . وعلى الوجه الثاني فلا بد من الاضمار . والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وأقامت اخرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم من الجهاد

وعلى كلا الوجهين تفيد الآية توزيع العمل بين المسلمين ليستقيم الأمر ويحصل لهم الفوز في كل موطن . ويجمعوا بين العلم والعمل ، والفقه في الآية يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي أو الشخصي وفي قوله «ولينذروا قومهم» اشارة الى أن الغرض الاصلي من التعليم هو التخويف من عذاب الله والارشاد الى سبل السعادة . لا ما يستبق اليه علماء السوء من الاغراض الدنيئة والاعمال الذميمة وافساد القلوب

وكأن هؤلاء في الوقت الحاضر يرون أنفسهم غير مطالبين بالواجبات العامة وانما خلقوا للشهوات والاضرار بغيرهم . ولا عليهم في مصائبنا الحاضرة وغوائل اليوم وما ينتاب الامة من الارزاء وأليم العذاب

فاذا أمعنت النظر في اقوال المفسرين على الآية الـكريمة وجدتها تفيد أموراً :

أولا — العمل بخبر الآحاد اذ لفظ الطائفة يصح اطلاقه على الواحد

ثانياً — الامر بالسفر الى العلم وتشير الى مزاياه الجسيمة التي لا تحصر بصيغة التحضيض الدالة على النهي عن التخلف

ثالثاً — الأمر بتوزيع الاعمال العامة بين المسلمين اذ نهت أولا عن النفير الـكلي الى الجهاد وأمرت ثانياً بالخروج الى كسب العلم وبالتوزيع ينتظم شمل الأمة وتكون جامعة للكمال الديني والدنيوي فتصبح في عز باذخ ووارف الحرية

رابعاً — تفيد ان ما يعود على الدين بالتأييد تقدمه فيه بناء على جعل النفير بمعنى الخروج الى الجهاد

خامساً — تفيد جواز طلب العلم ، للقيام بأود الاسلام والمسلمين بالوعظ والارشاد والتخويف من عذاب الله ولا ينافي ذلك الاخلاص

سادساً — تفيد ان العلم لا يدرك الا بالتعليم ولهذا قال العلماء : العلم يؤخذ من افواه الرجال

سابعاً — تفيد ان في تحصيل العلوم مشقة وتجشما فيلزم

توطين النفس على معالجة التحصيل والا فاتت المعالي وخابت الآمال

(لطيفة) * قال بعض المفسرين : وان أمكنه » اي التفقه « في الحضر فلا شك ان في السفر بركة أخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار اه

(لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها)

لعمر الحق ان السفر مدرسة عظمى تطبيقية توجد في الانسان ملكة يقتدر بها على حفظ مميزاته مما يشاهد من تنافس الأمم في الظهور بها . ويطلع على آداب الأمم واخلاقها ومواهب افرادها وصنائعها ويعرف سنة الله في الكون فيكون بذلك بصيراً بأحوال الهيئة الاجتماعية وسياسات الأمم واغراض حكوماتها ومآلها وعجائب العالم . فبه تقوى مداركه وتنمو مواهبه وتكثر معلوماته ويقوى على التمييز بين الحق والباطل لهذا قال تعالى « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها »

ولو سئل أكثر من يدعي الفقه والتجرد لاحياء الدين بزعمه عن معنى من معاني تلك العلوم حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الدنيا والآخرة . وكم سمعنا عن

تخبطهم في الـكلام على قواعد الاسلام واركانه في متن العقيدة وما يحشرونه من المعاني غير الصحيحة مما يقتلون به مواهب نفوس السامعين

ترى الشخص منهم يجهد نفسه ليلاً ونهاراً في درس متون الفقه وتفهم مسائل الفتوى واللعان والظهار والسلم والشفعة والاجارات وما أشبه ذلك من مسائل الفروع التى تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم يخل البلد ممن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها على انها من الفروض الـكفائية وهو في غفلة عن واجبات نفسه من تطهيرها من الادناس وتزكيتها بحسن الاعمال وتحليتها بالفضائل . وعن واجبات الهيئة الاجتماعية وحرس الدين والأمة من كل فساد جهد استطاعته

الفقه علم النفس مالها وما عليها فعلاً وتركاً . واذا أراد الله خيراً بعبده صيره عارفاً بذلك بأن يلهمه تعاطي أسباب التحصيل ويؤيده بروح منه حتى يفوز بالمراد . وهذا شامل لـكل الواجبات دينية أو دنيوية . فمقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام في الدين الا بنظام الدنيا ، لان الدنيا مزرعة للآخرة وهي المطية والآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومطية قال عليه الصلاة والسلام « الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الآخرة »

يظهر من الاستدلال بالحديث في كلام (الجمود) ان

الاشتغال بغير الفقه من العلوم لا يجوز ولا يكون الا ممن لم يرد الله به خيراً . وهو سخافة وهراء فان من التفقه في الدين العلم بالفروض العينية فمتى جاء المرء بواجباته من صلاة وزكاة وصيام وحج وما يتبعها من الفروض كان من المتفقهين في الدين . لان الفروض الكفائية يسع الانسان جهلها مالم تتعين عليه

ولا نكران لفضل الفقه فانه علم العبادات ومعرفة الحلال والحرام وهو من العلوم المقصودة بالذات لا من الآلات التي يكون الغرض منها والتوسل بها الى غيرها من العلوم . وبه يعرف ما يعرض لافعال المكلفين من الوجوب والحرمة والكراهية والندب والاباحة والصحة والفساد ولو أهمل العمل به لانهدمت شريعة الله التي جاء بها الانبياء « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

لكن لا يعقل أن تشتغل الأمة بالفقه وتعرض عما سواه ولا يقول بهذا عاقل ، بل الواجب ان يكون ما يخص الهيئة الاسلامية كالمواريث والانكحة والوصايا والاحكام والاجارات وأمثالها موزعاً بين افراد مع مشاركتهم في غيرها من العلوم كما يجب ان يتخصص افراد لعلوم الحياة مع مشاركتهم في العلوم الشرعية حتى تصير الأمة جامعة لما يكفل لها السعادة من العلوم

في الدين والدنيا وينتظم أمرها وهذا ما يرمي اليه غرض العاملين لاسعاد الأمة بنشر المعارف واحياء معالم الهدى

لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة الا شارك فيه مشاركة يكون بها خبيراً بمقصده وغايته ثم ان ساعده الحظ سعى ان يتضلع فيه فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا فما قام المعارضون ضد الاصلاح والطعن في العلوم الحيوية الا لجهلهم لها وعدم النظر في نتائجها في الخارج حتى يستبين لهم حكمها

لهذا قال بعضهم لابنه : عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فان المرء عدو ما جهل ، وانا اكره ان تكون عدو شيء من العلم . وأنشد :

تفنن وخذ من كل علم فانما يفوق امرؤ في كل فن له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل به ولعلم أنت تتقنه سلم

وربما سمع بعض المتهوشين ماقلنا أولا في توزيع العلوم وتكفل افراد بالفتوى الكفائية فحمل الكلام على وجه الطعن من التزهيد في علم الشريعة وذلك شأن الذين في قلوبهم مرض وهم جراثيم الهيئة الاجتماعية لا حياة لهم الا في جو متسمم

بوباء الشفب ، الا انها لا تستقر مع مواد التعقيم[1] وآيات الشفاء « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا »

بيان مفيد

سبق لنا القول في بعض مفتريات وبيان الحق فيها . ونعود الآن الى بيان حقائق اخرى حتى لا يبقى للخائضين مجال

من المعلوم بالضرورة ومن لوازم الايمان وجود السموات وآيات القرآن طافحة بذكرها ، وانكارها كفر صراح . أما البحث في ذاتها واكتشاف عجائبها فلا مانع منه بل من الواجب.

كيف لا وكتاب الله يحضنا على ذلك كلما تلوناه وهي من أعظم الدلائل على وجود باريء الكون وكمال قدرته سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه قال سبحانه « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » انظر كيف جمع تعالى في هذه الآية اعظم الدلائل واكثرها مشاهدة واجلها نعمة بحيث

(١) التعقيم هو النظافة بكل معانيها وهو في عرف أهل الطب تعقيم الشيء أي قتل جراثيمه المرضية حتى لا يكون واسطة في نقل تلك الجراثيم الى غيره

لا يبقى للانسان أدنى ريب متى التفت اليها في ان المعبود الحق هو المتصرف في هذا الكون العجيب النظام وما سواه من المعبودات باطل بل هي تخضع بلسان حالها لذي الجلال والاكرام

وفي كل معبود سواك دلائل من الصنع تنبي انه لك عابد

فان البحث في الملكوت وتعاطي علومه يزيد المؤمن ايقاناً والباطن نوراً والضال هداية . وما أظهره العلم الصحيح الآن لم ينافِ الحق ، بل انك اذا تأملت قوله تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وجدت الآية تخبر بظهور تلك البينات التي أبداها العلم فالواجب التصديق بها لا الجحود على ما قاله علماؤهم أنفسهم لم يسلموه وما ذكروه الا على سبيل الاحتياط ولا شك

من الحماقة ان يقول المرء بأن السموات اجرام معدنية كما تخبر الاسرائيليات والروايات الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف يصدق عاقل ان السموات من فضة ونحاس وذهب وزجاج الخ وان الاولى مخضرة بجبل قاف وهي موج مكفوف الى غير ذلك مما لم يذكره القرآن ولا السنة الصحيحة ولو ذكراه لقطعنا به رغم كل قائل ، لكن معاذالله ان يأتي العلم الصحيح بخلافهما

وقد قال قطب الائمة وبعض المحققين [1] ان ما يروى من ان السموات اجرام معدنية لا صحة له ولم يؤيده نقل صحيح عن رسول الله يعتمد . وما اكتشفه علماء الفلك وأطبقت عليه الارصاد في العالم أمور مسلمة لا تقبل الرد

وحيث لم يذكر القرآن ولا السنة المقطوع بها وصف الاجرام العلوية فالبحث عن كيفيتها ونظام سيرها البديع وما بينها من النسب والجاذبية والاقتران والدوران حول نفسها أو حول بعضها واستمداد بعضها من نور البعض وخاصياتها وابعادها ومدد سيرها ومسافتها واقطابها واشباه ذلك : علم جليل الفائدة عظيم العائدة يدلك على سر الوجود ولطيف صنع الله الذي أتقن كل شيء وترقى للكمالات الروحانية كما أثبته العارفون بأسرار النفس ، ويرشدك الى ذلك قوله تعالى « لآيات لأولي الالباب . لآيات لقوم يعقلون . ما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » في امثالها من الآيات

عجباً ان يطعن من له مسكة من العقل في هذه العلوم ويعدها كفراً ومخالفة للاسلام سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

---

(١) في حفظي اني رأيت في شرح شرح التوحيد وأظنه للبدر الثلاثي انه زيف هذا القول لشيخنا القطب رضي الله عنهما ولا يبعد ان يكون في غيرها من تآليفه

وقد خلا الجو للذين يشتغلون بها وينتفعون باسرارها ونحن في غفلة معرضون نمر عليها ولا نشعر « وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » كانما حظ المسلمين الشقاوة

والسماء لغة كل ما علاك . « ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » قال تعالى في آية « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً » وفي آية أخرى « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » . ماذا يقول الراصدون الذين هم في سكرة وغفلة عن آياته ؟ ألم يكن لهم ادراك يتفهمون به كلام العليم الخبير أم جبلوا على حب المعارضة والطعن في كل شيء لم تصله مداركهم . ان ما يقال عند اليونانيين في الهيئة الفلكية من ان السموات السبع مركوز فيها الكواكب السبع وان الكرسي هو الفلك الثامن والعرش الفلك التاسع ويسمى بالاطلس كل ذلك أصبح ساقطا لا صحة له على مقتضى العلم الصحيح الآن والاشتغال به اشتغال بالباطل . كانت الأئمة الرستميون مصدر هذه العلوم ومنبعها أيام ملكهم الشامخ وعزهم الباذخ بتاهرت حتى برعوا في التنجيم واشتهروا فيه في رحلهم واقامتهم ، بل حتى خدمهم يتعلمونه وهل أنكرها أحد العلماء الاعلام مع كثرة عددهم اذ

ذاك ؟ كلا وكيف ينكر ما هو حق ولا سيما علم اشتغل به الائمة المجتهدون رضي الله عنهم لا عاقل يقول ان الاشتغال بهذه العلوم مضر ولا حاجة اليها وعليها مدار حياة العالم ولا يقع في حرج الاعتقاد فان الاسباب كلها مضافة الى المدبر الحكيم سبحانه من خبير بالدرات في الاجواف وباللؤلؤ في الاصداف لا اله الا هو

فليتقول الزاعمون فان الحق كالطود بحقر نطحة الاوعال كلما بدا منهم اعتراض الا وكشف عن جهل مستور

لم يزل العلم يكتشف كواكب وشموسا هي على غاية من البعد تظهر لنا كواكب ويدل لذلك في القرآن قوله تعالى « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سرجا » جمع سراج في قراءة « وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر »

وكفى ارشاد القرآن الى العلوم والترغيب فيها دليلا فكل ما وافق الحق وقبله العقل الصحيح فهو حق ، لا سيما اذا أيده الكتاب العزيز . وانك لتعجب من المستدلين في القرآن عند التفسير بأقوال حكماء اليونان وهي مناقضة للعلم الصحيح ، وبالاسرائيليات الكاذبة ومتى بلغهم شيء يناقض ذلك من البينات المقبولة عقلا كانت منهم طعنات وحملات عنيفة كأن ما يتلقى من تلك الاباطيل هو من القرآن . ولو تأملوا قليلاً لوجدوا في

نفوسهم نفوراً منه

انا نريد بهذه اللمعة تذكير الجامدين لعلهم يرشدون . ولولاه لاتينا في هذا المقام بالعجاب

الكلام على يأجوج ومأجوج

أما يأجوج ومأجوج فامة مذكورة في القرآن الكريم أيضاً وفي الحديث الشريف وهم امة عظيمة كان لها في التاريخ الغابر شأن وأي شأن كما قصه تبارك وتعالى في سورة الكهف وقد انبأنا بأن ظهورهم من اشراط الساعة الكبرى

وهذا النوع من البشر قد انكشف للباحثين وظهر جلياً للمحققين من انه هو الجنس الاصفر (اسم المغول والتتار) ومقره الآن الصين وقد ذكر كثير من المؤرخين انهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا الكبرى تمتد بلادهم من التيبت والصين الى المحيط المنجمد الشمالي وتنتهي غربا بما يلي بلاد التركستان (١)

وما ذكره الله عز وجل من افسادهم في الارض فقد ذكر المؤرخون من الاسلامية وغيرهم أن هذه الامم كانت قديما تغير على من جاورها من الامم في أزمنة مختلفة وأهلكوا الحرث والنسل وقلبوها ظهراً لبطن وخربوا البلاد ودمروا العالم تدميراً

---

(١) انظر فاكهة الخلفاء وابن مسكويه ونظام العالم

وذلك في قوله تعالى «ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً » الآية وذكروا انه منهم الامم المتوحشة والسيول الجارفة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى أوربا

وكم أغاروا على بلاد الصين وعلى امم آسيا الغربية التي كانت مقر الانبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) كل ذلك قبل نزول القرآن وظهور النبي صلى الله عليه وسلم. الى أن ظهرت تلك الداهية الدهياء والغارة الشعواء (غارة المغوليين) التى اكتسحت قسما عظيما من البلاد الاسلامية وأبادت جموعها وأتت من المنكرات ما لا يقدر قلم كاتب على وصفه ولا خيال شاعر على تصويره

كم احرقوا من الكتب وهتكوا من الحرمات ، حتى وصلوا الى الشام بدون أن ينال من همجيتهم وفسادهم الحرمين الشريفين ولا القدس كما اخبرت به بعض الاحاديث

وقد انسابوا على البلاد من كل حدب أى مرتفع . ووقائعهم مشهورة ملأت بطون التواريخ وكل ذلك مصداق القرآن . الا أن من العلماء من قالوا ليس ذلك ما أخبر الله به من خروج يأجوج ومأجوج لان خروجهم وظهورهم من أشراط الساعة

لقوله تعالى « وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق » فأجيبوا بأنه لا منافاة بين الوجهين فاذا صح أن التتر والمغول هم أولئك الموعود بهم فلا مانع من وجود فاصل بين خروجهم وقيام الساعة فقد قال تعالى « اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون » وقال « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقد وقع انشقاق القمر في زمانه صلى الله عليه وسلم ومضى لذلك الف وثلاثمائة ونيف واربعون عاماً . وقال عليه الصلاة والسلام : « بعثت انا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى وربما قال قائل أين الاقتراب على تسليم ما قررتموه ؟ فنقول : من المعلوم أن ما مضى من عمر الدنيا لا يتناوله احصاء وما بقي قدره يسير

ويؤيد هذا القول ما روى عنه صلى الله عليه وسلم « سيوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين » [1] ومن المسلم أن هذا السلاح لم يبق له ذكر في هذا العصر في أي قطر من الاقطار ، وهل يصلح أمام تلك القذائف الجهنمية المصرية والحروب الكيماوية التي أصبحت تهدد العالم ان وقعت لا قدر الله تكتسح الملايين من البشر في جزء يسير من الزمن

وهذه التحقيقات لا تنافي النصوص الواردة من الآيات

(١) رواه الترمذي عن النواس بن سمعان

القرآنية والاحاديث النبوية . ولا يصح لاحد أن يقول أن ما ذكرتموه غير مقبول لعدم ظهور تلك الامة ولم تعرف لحد الآن ولا مقرها من الكرة الارضية لان البشر قد اكتشف القسم اليابس من الارض ما عدا مركز القطبين والربع الشمالي لم يبق فيه احتمال لوجود امة مجهولة

وعلى الرأي الثاني مع التسليم أن يأجوج ومأجوج هم أمم الصين كما سبق سيظهرون في المستقبل ويعبر عنهم بعض ساسة أوربا وعلمائها بالخطر الاصفر المتوقع

وذكر بعض علماء العصر أن عاهل جرمان كان يريد بموالاته المسلمين وامدادهم لو رجحت كفته في الملحمة الكبرى أن يجعلهم سداً محكماً دون اوربا من ذلك الخطر الاصفر . وليس ببعيد أن يكون سعي الدول الاستعمارية من ثل عروش الامم وافقادها عزها اذا أراد الله انفاذ حكمه سبباً لاهتياج ذلك الجنس وانسيابه على الامم المجاورة له فيستأصلها قتلاً ونهباً وسلباً وتخريباً كما سلف من أعمال جانكز خان وأولاده المغوليين مما هو مشهور ومحفوظ في كتب التواريخ الى زمن ولاية هلاكو وقد وقعت اذ ذاك ملاحم جسيمة واهوال وانقلاب حتى أنه قتل في سمرقند في احدى وقائعهم مليون نسمة ولله عاقبة الامور

لقد بلغ الجشع الاستعماري الى حد اقتطاع اطراف الصين

والتدخل في شؤونه الداخلية بما أدى كما ذكرت احدى الجرائد الشرقية قبيل الحرب الكبرى الى تهديد الحكومة الصينية لتلك الدول بيد أنه اقعدها عن القيام بأعباء مملكتها الشاسعة الاطراف الآهلة الجهل بالنظام العصري وفقدان العلماء الفنيين والخصيصين وسواد الهمجية في تلك الامم حتى انتشرت فيها الفوضى

فكلا الوجهين محتمل وغير مناقض لكلام الباري وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام كما رأيت

وأما ما يذكره أصحاب القصص من صفات ذلك الجنس فغالبه ليس بصحيح ، وانما هو من قبيل الخرافات والاسرائيليات التي هي محض كذب ، تناقله اولئك الرواة والكاتبون بدون تحرز وتدقيق . وبطلانها ظاهر بأدنى تأمل ايده التوفيق والعون

تلك هي الحقائق التي يطمن فيها الفارغون منها ومن حقائق الكون وتظاهروا بين الملأ بدعوى دحض الشبه وازاحة الزيغ وهم فيهما منغمسون

يتصور لك مما مر من الفرى وهو بعضها ماعليه النفوس الشريرة وما تحاوله من لبس الحق بالباطل استسلاما لسلطان الهوى وتنفيذا لارادته واهمالا لسياسته بالنفس العاقلة وجهلها بطرق تلك السياسة . وقد شبه الحكماء من اهمل سياسة نفسه

العاقلة وترك سلطان الشهوة يستولي عليها برجل معه ياقوتة حمراء شريفة لاقيمة لها من الذهب والفضة جلالة ونفاسة . وكان بين يديه نار اضطرم فرماها في حباحبها حتى صارت كاساً لامنفعة فيها فخسرت وخسر ضروب منافعها

اعلم ان النفس العاقلة اذا عرفت شرف نفسها واحست بمرتبتها من الله عز وجل احسنت خلافته في تربية قواها الثلاث : العاقلة والسبعية والبهيمية وسياستها ونهضت بالقوة التي اعطاها الله تعالى الى محلها من كرامة الله تعالى ومنزلتها من العلو والشرف ولم تخضع للسبعية ولاللبهيمية . بل تقوم النفس الغضبية (وهي السبعية) وتقودها الى الادب بحملها على حسن الطاعة . ثم استنهضها في اوقات هيجان هذه النفس البهيمية وحركتها الى الشهوات حتى تقمع بهذه سلطان تلك وتستخدمها في تأديبها وتستعين بقوة هذه على اباء تلك

قال بعض علماء النفس . ان الغضبية قابلة للادب قوية على قمع الاخرى . والبهيمية عادمة للادب غير قابلة له (على هذا الرأى) واما النفس العاقلة فقد شبهها كبار الحكماء والفلاسفة كابن مسكويه [1] بالذهب في اللين والانعطاف . فمتى آثرت الفعل

(١) هو ابو علي احمد بن مسكويه الخازن من كبراء الحكماء واجلاء علماء الاخلاق درس العلوم الحكمية في الكتب اليونانية المترجمة الى العربية واستخلص لبها وبرع في علم النفس ومن كتبه تهذيب الاخلاق من النفائس

الجميل وجاذبتك البهيمية الى خلافه فاستعن بالقوة الغضبية التى تثيرها الأنفة وعزة النفس واقهر بها البهيمية وان غلبتك ثم ندمت وانفت فانت في منهج الصلاح فتمم عزيمتك واحذر معاودتها اليك بالطمع والغلبة ، والا كنت كما قال الحكيم الاول اني ارى اكثر الناس يدعون محبة الافعال الجميلة ثم لايحتملون المؤنة فيها على علمهم بفضلها فيغلبهم الترفه ومحبة البطالة . فلا يكون بينهم وبين من لايحب الافعال الجميلة فرق اذا لم يتحملوا مؤنة الصبر ويصبروا الى ادراك ماعرفوا فضله . فمثله كمثل الضرير والبصير الواقعين في بئر فهما في الهلكة سواء وان كان الاول اعذر

ومن وصل الى هذه المرتبة من معرفة النفس ومرتبة الآداب واكتساب الفضائل فقد وجب عليه أن يفيض ما اعطاه الله على ابناء جنسه وتسنى له تأديب غيره وكان فردا صالحا في بيئته

اعلم ان النفوس التى لم تهذبها التربية ولم تغرس فيها الفضائل يبلغ بها حب النفس الى الحد المذموم فترى انها اولى بكل شيء كانها لاتعيش الا لنفسها ولم تخلق الا لذاتها ،وكانما الدنيا بما فيها انما وجدت لاجلها دون الخلق فلا تسعى الا للذاتها ولا تتألم بما

في فنه . قرن فيه الحكمة بالشريعة وبين طرق التربية وتهذيب النفس واعلاء الفضائل فيها وتجريدها من ادناس الخصائل . وكان من الاطباء المهرة جمع بين طب العقول وطب الابدان له تآليف كثيرة فيهما وفي التاريخ توفي سنة ٤٢١

يتألم به غيرها ولا تحفل الا ببذل مطالبها ولا تعتبر الشخص الا بقدر حاجتها اليه ومن كان بهذه المثابة فقد أخطأ طريق السعادة. ويسلك الاغترار ببعض النفوس مسالك مذمومة فتصير اصلا لشيم نازلة منحطة أو مرذولة ممقوتة . وتستحيل صفات غير مذمومة الى مذمومة كالغيرة عند فقدان اعتدالها (حسدا) والمبالغة في اكبار النفس الى حد ان لا يكبر في عينها احد (كبرا) وحب النفس والتعالي الى حب الرآسة والى حب السلطة . واليك ماتتنور به بصيرتك وتقف به على بعض حالة النفس الطامحة من كتاب علم النفس :

ولا حرج على المرء في حب الرآسة والسلطة اذا كان فيه من (الاستعداد الطبيعي) وعنده من (الكمال الادبي) مايؤهله الى هذه المكانة العالية ولم يستفز به توليها الى الاستقلال الفاسد والاستبداد الباطل والتكبر المشؤم والتجبر المهلك فلا يسوغ ان يترك احد يطمح نظره الى هذه المنزلة السامية الا اذا تحقق فيه كرم العنصر وطيب المحتد وتبين حسن مذهبه وجميل مقصده وعلو همته وظهرت جودة فكره وقوة عقله وسعة معارفه واصالة رأيه وكثرة تجاربه وحسن تدبره في العواقب ولطف تبصره في الامور وجمع الى فصاحة اللسان وبلاغة القول والقدرة على العمل ومضاء العزيمة حب المشاركة في الآراء والمشاورة في

المسائل والاذعان الى الحق والمساعدة على اظهاره والعمل به

والا دخل بشهوة على الاعمال فابطلها وحشا باهوائه المصالح فافسدها ورمى النظامات بسوء تصرفاته فأخلها فكانت عاقبة ذلك ليس فقط دمار الفرد الواحد بل دمار الامة باجمها بل دمار الاجتماع الانساني برمته . وذلك هو الوبال الاكبر والخسران المبين . فحذار حذار من حب الرآسة والسلطة اذا انحصر الباعث عليه في حب النفس فقط فانه لايكون حينئذ الا الارادة المائلة مع الشهوة والرغبة الجارية مع الهوى المتقلبة بلا حق المنفذة من غير اصل . ولذلك اجتهد عقلاء الامم ألا يلي الرآسة والسلطة الا من اتبع قانونا عدلا ولم يخالفه طرفة عين اما اذا كان الداعي الى حب هذين الامرين ليس هو حب النفس بل ارادة الاصلاح المعززة بالاستحقاق والاهلية والكفاءة وذلك باستيفاء الشروط التي قدمناها فانه يكون شيمة كريمة كما في عصر الخلفاء الراشدين وامراء المؤمنين المهديين اه

ويتبدل الحرص طمعا باشتداد حب الاستزادة الى حد التعلق ببعض اسباب واهية ظنا انها توصل الى الحصول على مايراه . وحب الاستئثار الى (بخل وشح) وكل من (الطمع والبخل والشح) من الخلال الرديئة التي يجب العمل على محوها واستئصالها منذ ظهورها مع النشأة الانسانية فانها اصل الذل

ومما يجب علمه ان حب النفس وما ينشأ عنه من الميول الشخصية دائر على المنفعة الذاتية ، بخلاف الميل الى الجنس فان كثيراً ما يكون مجرداً عن قصد الفائدة الشخصية . ولهذا كان أشرف من الاول وأقرب الى الكمال الانساني

فاذا يجب على العاقل ان يعرف ما ابتلي به الانسان من تلك النقائص واشباهها . وحاجاته الضرورية الى ازالتها وتكميلها . ويلتمس الفضيلة في نفسه العاقلة التي صار بها انساناً . وينظر الى النقائص التي في هذه النفس خاصة فيروم تكميلها جهد طاقته ويلتمسها في غيره لان الانسان قلما يدرك عيوب نفسه لهذا قال عليه الصلاة والسلام « المؤمن مرآة أخيه » فان صفات الكمال الانساني خيرات لا تستر وجمال يدنو اليه كل ذي وجدان وهي التي يكون بها بعض الناس أفضل من بعض وبعضهم أقوى انسانية من بعض . ويغذو نفسه العاقلة بغذائها الموافق لها وهو العلم والزيادة في المعقولات والارتياض بالصدق وقبول الحق والنفور من الكذب والباطل

واجب الامة

مما لا مرية فيه رقي الغربيين في الفنون والصنائع وتقدمهم في النفوذين السياسي والاقتصادي . ولا جحود لما يبتكرون للبشر من مواد الحياة والعمران والتمدن . ولا نرد صوباً ولا

تقطع قطراً ولا تقف على صناعة ولا تدخل سوقاً الا رأيت من آثارهم ونتائج قرائحهم ، ولا يمر حين من الدهر الا وتسمع بمؤتمر لهم علمي أو عكاظ صنائعهم ، ولا تأتي بلداً بل قرية الا وجدت فيها مدارس لابنائهم ، ولا تركوا صنفاً من صنائع الشرقيين الا جاؤا بمثله ، حتى كادوا يقضون على سائر صنائعنا وهذا احدى غاياتهم نحو الشرق

تسابقوا في ميدان النبوغ وميزوا عديد الفنون واستنبطوا كثيراً صالحاً ووسعوا دوائرها بعد ان كانت مسائل ضمن علوم أخرى . وبرع فيها مؤلفون وبرز فيها اختصاصيون ما منهم الا من يرى من واجبه اظهار مالم يسبق اليه كي يخلد له ولأمته حميد الاثر وعاطر الثناء بين الشعوب

ما هو واجب الأمة تلقاء تلك البينات وهاتيك القوى والمكانة التي طولبت بها على لسان نبيها في آي الذكر الحكيم . أواجبها وضع الاصر عنها والاغلال التي عليها بالاخذ بتلك الاسباب المسعدة . أم الاعراض عنها والبقاء تحت كلاكل الجهل والفاقة كما يدعو اليه الناعقون ؟

هل تقعدن على ضر ومسغبة وعيشة شأنها التعذيب والكدر

ان مواهب النفوس ليست متجهة الى وجهة واحدة بل كل منها تميل الى عمل والى علم غير الذي تميل اليه الاخرى غالباً سنة

الله في عباده ليحصل العمران ويظهر سر الكون ومخبآته فتتجلى وحدانية الباري وجلاله وصمدانيته « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة » . اذا فالواجب على الأمة ان تتوجه الى مناهل المعارف فتغترف من كل فن بتوزيع الافراد كل حسب استعداده كما أمر الله تعالى ان تقوم طائفة بحماية الدعوة ونشرها. وأخرى بتجشم المشاق في اكتساب العلم كما مر فلينقطع افراد الى العلوم الحيوية . وآخرون الى العلوم الدينية . وآخرون الى الصنائع . وآخرون الى علوم الآداب . مع انفراد كل بما عليه من الواجب العيني ليقيم دينه فانه لاسعادة للمسلم الا بالدين

فان العلوم كلها واجبة اما وجوباً عينياً وهو ما وجب على كل مسلم . كفروض التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الرحم وترك الكبائر من الغيبة والنميمة والخيانة والركون الى الباطل وأشباه ذلك . واما وجوباً كفائياً وهو ما وجب على الأمة فاذا قام به البعض ارتفع الوجوب عن المجموع كالعلوم الحيوية من الرياضيات والاجتماعيات والشرعيات والصنائع وتوابعها والعلوم الآلية

أما الجمود امام المزاحم فاستسلام وهلاك يربا عنهما كل عاقل . والزاعمون ان العلوم الحيوية مباينة للدين واصفون له بالنقص وهم لا يشعرون وقد وصفه الله بالكمال وتمام النعمة

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » وقد علمت ان اكثر الآيات تشير الى ما في العالم من أنواع الخلق وكافة العلوم المتنوعة حثاً لكل نفس ان تفتكر وتعمل بما يلائم ارادتها الخصوصية ومواهبها ، فبذلك تفوز بأمرين عظيمين :

الاول — قوة الايمان والرسوخ فيه فيقدس الانسان ربه كلما رأى حكمته تعالى في الخلق . ويشكره . وهذان هما الحكمة في ايجاده في هذه الحياة ولم يخرج الانسان من بطن امه الا لهما. تأمل ذلك في قوله سبحانه « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون »

انظر كيف امتن الله علينا بالسمع والابصار اذ هما الوسيلة الوحيدة الى ايصال المنافع والمضار الى محل العقل والعلم ، وهو القلب المعبر عنه بالفؤاد ؛ وعلل ذلك بالشكر الذى هو صرف تلك النعم فيما خلقت له

ثانياً الاستفادة المادية من تلك النتائج التي يدركها ويشرف عليها ومعرفة المضر منها فيجتنبه . وقال بعض الكاتبين : ان من الاسباب في ضعف الامة الاسلامية اولئك الذين ادعوا العالمية وخطوا لانفسهم ما تقشعر منه الابدان ثم الصقوه بالدين فسرى

في الامة سريان السم ولايعلمون الى أي حفرة هم سائرون . اه

ليس شقاء الامة الاسلامية سببه الفقر فقط كما يقول بعض الكاتبين وانما هو نتيجة فقدان ثلاثة :

فقدان التمسك بالدين بالمعنى الصحيح

فقدان العلوم الحيوية

فقدان الرفاهية . قال عليه الصلاة والسلام « لابد للناس في آخر الزمان من الدنانير والدراهم يقيم المسلم بها أمر دينه ودنياه» أو كما قال

بهذه الثلاثة كانت فيما هي عليه من الاستعباد والتعذيب وضروب الارهاق

ان المنافسة في العرفان وميادين الحياة من واجب الامة . والمحافظة على الصنائع الوطنية وترقيتها وجلب وسائل التسهيل والتوفير لها كذلك . كما ان من واجبها اختصاص رجال العلم والمتعلمين كل بفن من الفنون مع مشاركته في غيرها لارتباط العلوم بعضها ببعض واستمداد بعضها من بعض ولاستحالة احاطة الفرد الواحد بجميع العلوم . ولان الافراد اذا جاؤا بواجبهم تكون واجب المجموع من نفسه . فخذ لك مثلا علم التفسير فانه ترتبط به علوم العربية وعلوم السنة وتوابعها وعلم التاريخ والعلوم الكونية والجغرافية والطبيعة وغيرها كثير ان اراد المزاول له ان

يدرك اسرار القرآن وما يحتوي عليه من العلوم ويتمتع بذلك الجمال الرائع ، فالهيئات لا تتكون بدون توزيع اللوازم على افرادها ، لان الامة شبيهة بالهيكل كل عضو له عملية يقوم بها فإن سلمت الاعضاء وقامت بلوازمها كانت سلامة ذلك الهيكل .
والقوة نتيجة اجتماعية . فالقوة السياسية مثلا نتيجة ارتقاء في الهيئة الاجتماعية والقوة العملية نتيجة ارتقاء في العرفان. والقوة الاقتصادية نتيجة ارتقاء في الهيئة العاملة الخ . لهذا كانت الشعوب الفاقدة لتلك القوات طعمة الاقوياء

لماذا لا تضارع الأمة الاسلامية غيرها من الأمم المتمدنة وهي الأمة المتدينة بالدين الذي فتح أبواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق في أي فضيلة وأنبأ كل ذي نطق بوفرة استعداده لاي منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وسوّى بينها في كل الحقوق وانما جعل التفاضل بالعقل والفضيلة « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » قال عليه الصلاة والسلام « من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله »

واجب على الأمة ان تضارع الأمة الحية لا دفعا للتفوق فقط بل الواجب يأمر بذلك ؛ وكيف لا وهي الأمة التي أنبأها دينها بأنها ستحاسب على ما منحها الله من المواهب والقوة

الاختيارية التي هي مناط الثواب والعقاب والمدح والذم « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون » ـ « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد »

كل شعب تمسك بالبساطة ولم يحفظ مميزاته الجميلة بسياج العرفان فانه يكون نهبة للاخطار وعرضة للاضمحلال

والثروة الخالدة هي العلم وهو مع الرفاهية سعادة في سعادة وهي بدونه عذاب وشقاوة . ان المعارف من أعظم ما يتترس به الشعوب والافراد ، وهي السلاح في كل معترك والانيس في الوحدة والدليل الى كل مطلوب والنور في الغياهب والرشيد عند كل حيرة . والعلوم الحيوية قوة مندفعة الى الامام لا يمكن ايقافها ولا حصرها في مكان واحد

القول في الاتحاد

انعم بنغمة الاتحاد اذا صدرت من أفئدة نقية طاهرة فانها تفرح القلوب المحزونة وتبعث الآمال والرجاء . وتجدد الروح وتوقظ النفوس الخاملة . نعم كلمة طيبة ونغمة شجية تنعش الآيسين وتفتح الباب على مصراعيه للراجين . والاتحاد يحيي موات النفوس حياة الحبوب بالقطر . وينبت فيها صالح العمل انبات الربيع البقل

نسمع هذه الكلمة من كثير لكنا نرى الغالب لا ينطقون بهـا الا تقليداً ، ولا يتصورون معناها الا سطحياً . ومنهم من يلفظ بها رياء ونفاقاً . السنتهم ترددها وقلوبهم تنبعث منهـا زفرات المكر وخبث النية

يالله من نفوس تبدو بمبدأ الايمان وسلامة السريرة . وتدبر بالكيد والرياء وحلقة العيون والتوعد بالشرور

نعم هي شعار المخلصـين . وان شئت (تسبيحهم) وذرة مغروسة في صدورهم . يلهجون بها في كل مجتمع لا رياء ولا سمعة . ودرة يضعونها في افكار الناشئة . هي العقيدة والايمان وتراث عن الآباء الاماجد « واعتصموا بحبـل الله جميعاً ولا تفرقوا » آية جمعت بين الامر بالتمسك بحبله المتين والنهي عن التفريق والتباعد . كيف لا نلهج بها عن صدق واخلاص وهي جزء من ايمان المؤمنين

الاتحاد المطلوب يكون في الخير والاعمـال الصالحة العائدة على الدين والأمة بالفوز والصـلاح . ويكون مع النفوس التي تعرف ضرورة التعاون البشري الذي به صار الانسان انساناً . في الطاعة تأتي تلك القوة الهـائلة التي بهـا ينال المطلوب ويظفر بالمرغوب تلك القوة العظيمة التي خاطب الله بها عباده المؤمنين . وكثروا بها وهم قليلون وعزوا بها بعد ان كانوا ضعفاء وكانوا يداً

واحدة في شؤنهم الداخلية والخارجية قال عليه الصلاة والسلام « يد الله مع الجماعة ـ المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » هو وسيلة للرقي والكمال به يلتئم شعث الأمة . ويتكون المعدوم من الصالحات ويوجد اكبر المدنيات ويعمر البلاقع ويوطد اركان الحرية وترتفع تلك المعاملة السيئة التي تعامل بها الأمة

الاتحاد فكرة حية لا تقاوم ولن تقتحم وقوة توجد نظاماً بديعاً وبناء محكماً . يخضع امامها كل ظالم وغشوم

هذه المنقبة الكبرى لا تتحملها نفوس عليلة الافكار أسيرة غايات لها فكيف بالتي في باطنها خيانة أو نفاق أو مكر وامثالها من الكبائر الموبقة للمبتلى بها ولقومه المفيدة للاضداد المترصدين

قاتلها الله من صفات لعينة تلعب بنفوس فتذرها جذوعاً خاوية وايد شلاء لا تتناول أمراً الا صيرته شتيتاً ولا تدخل جمعاً الا جعلته وحداناً ولا تبدى رأياً الا كان مأفوناً حظه عند ذوي الالباب المقت والحرمان . صفات يبغضها الله ورسوله والمؤمنون صاحبها أحبولة الطريد وفخ الشريد يتخذها المجرم آلته يعمل بها على حسابه وهو لا يشعر كم هدمت من مشيد المجد ونسفت من جسور الوئام واجتثت من غروس الاصلاح . وجلبت من اضرار جسام وقوضت من آثار المودة

هن امهات الشقاء واصول البلايا لو تطهر منها المبتلون بها لعاد اليهم الى النزعة وانتأى كل بلاء ولو التفتوا الى نفوسهم بالتزكية من مفاسد الاخلاق وأمسكوا عن الخوض فيما ليس لهم به علم حتى يعلمو لسلموا وسلم سواهم من اسوائهم (لو سكت من لا يعلم لبطل الخلاف)

انا لفي زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس احسان واجمال

كلمة في الاخلاق

اذا كانت الاخلاق الطاهرة في قوم كانوا على جانب من العز والكرامة . قال العلامة بدر الدين التلاتي [1] في (الفتح المبين) : الخلق كيفية راسخة في النفس تصدر عنها الافعال الاختيارية الممدوح بها بسهولة بحيث لا يتكلف صاحبها في ايجاد تلك الافعال كالاعطاء والصفح عن الزلات ومقابلة الاساءة بالاحسان

(١) هو العلامة المحقق الجامع لما تفرق في غيره من العلوم صاحب المؤلفات المفيدة الشيخ ابو حفص عمر بن رمضان الجربي التلاتي أخذ العلم في الازهر الشريف وصنف في عدة فنون ما يفيد وكان مشهوراً بفرط الذكاء وقوة الذاكرة معاصرا للعلامة يحيى بن صالح رحمهما الله . توفي بالقاهرة وهو من علماء القرن الثالث عشر

من أعظم أسباب سعادة الامم الاخلاق الفاضلة ، ولا أجمل من اخلاق الاسلام فقد تكفلت بسائر وسائل الاسعاد والفوز في كل المواطن لمن تخلق بها . فانه لم يدع خصلة كريمة وسمة جميلة الا أمر بها ، ولا صفة خسيسة الا نهى عنها

امر بالاحسان والعدل ، وصلة الارحام ، والبر بالضعيف وبر الوالدين والرفق والامانة والوفاء والحياء والجود ، والتعاون على على البر والتقوى ، والتحاب واكرام الجار والضيف وابن السبيل وحفظ السر والاتحاد ، والامر بالصدقة والمعروف والاصلاح بين الناس وتحرى الصدق ، والثبات والصبر على المكاره في سبيل الخير ، وعلو الهمة والاعتماد على الله والعمل للدارين ، وافشاء السلام واماطة الاذى عن الطريق وسائر الخصال الحميدة . ونهى عن التجسس ، والعمل بالظن ، والبغي ، والركون الى الظالمين ، والخيانة والكذب . قال صلى الله عليه وسلم « يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب » (١) وعن الغش والخديعة والغيبة والنميمة والظلم في المال والانفس والاعراض ، وعن كل خصلة ذميمة . قال عليه الصلاة والسلام « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »

ومن الكلمات الذهبية لشاعر الشرق التي سارت بها الركبان :

(١) رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكره السيوطي

وانما الامم الاخلاق ما بقيت
وان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

***

فليس بعامر بنيان قوم
اذا اخلاقهم كانت خرابا

قال عليه الصلاة والسلام « ان من اخلاق المؤمن قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين ، وحرصا في علم وشفقة في مقة ؛ وحلما في علم وقصدا في غنى وتجملا في فاقة ، وتحرجا عن طمع وكسبا في حلال وبرا في استقامة ونشاطا في هدى ونهيا عن شهوة ورحمة للمجهود . وان المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض ولا يأثم في من يحب ولا يضيع ما استودع ولا يحسد ولا يطعن ولا يلعن ويعترف بالحق وان لم يشهد عليه ولا يتنابز بالالقاب في الصلاة متخشعاً في الزكاة مسرعا في الزلازل وقورا في الرخاء شكورا قانعاً بالذي له ، لا يدعي ما ليس له ولا يجمع في الغيظ ولا يغلبه الشح عن معروف يريده . يخالط الناس كي يعلم ويناطق الناس كي يفهم وان ظلم وبغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له[1] »

(١) رواه الحكيم عن جندب بن عبد الله

انتقاد

كنا فيما مر أتينا على بعض انتقاد لما كتبه المفتون ضمن الكلام . والآن عن لنا ان نلم بشيء منه فيما يتناول فكرته وكتابته من حيث الصحة والفساد فنقول ان ما كتب منذ تصدى المعارضون للعمل ضد النهضة العلمية ورجال الاصلاح لم يخرج عن دائرة الثلب والسباب والكذب الفاحش وذم علوم الحياة والتشاؤم من تعليمها . واذا تصفحت تلك الرسالة فلا تمر بك صفحة خالية من احدى تلك الخلال الذميمة . ولا تجد انتقاداً صحيحاً ولا فكرة حسنة . ولا فائدة علمية . ولا عبارة راقية تستميل النفس اللهم الا مادل على فراغ وطاب الكاتب وتجرده من التربية الفاضلة والعلم الصحيح . وما يدل على خبث النفس والانسلاخ من الانسانية وعماية البصيرة والخذلان المبين

لقد أجاد القاضي الجرجاني في تقسيمه أهل النقص اذ قال : أهل النقص رجلان . رجل أتاه التقصير من قبله . وقعد به عن الكمال اختياره . فهو يساهم الفضلاء بطبعه . ويحنو على الفضل بقدر سهمه . وآخر رأى النقص ممتزجاً بخلقته ومؤثلا في تركيب فطرته . فاستشعر اليأس من زواله . وقصرت به الهمة عند انتقاله فلجأ الى حسد الافاضل . واستغاث بانتقاص الاماثل . يرى ان أبلغ الامور في جبر نقيصته وستر ما كشفه العجز عن عورته .

اجتذابهم الى مشاركته ووسمهم بمثل سمته وقد قيل :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

صدق والله واحسن كم من فضيلة لو لم تسترها المحاسدة . لم تبرح في الصدور كامنة ومنقبة لو لم تزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة . لكنها برزت فتناولتها السن الحسد تجلوها . وهي تظن انها تمحوها وتشهرها وهي تحاول ان تسترها . حتى عثر بها من يعرف حقها . واهتدى اليها من هو أولى بها فظهرت على لسانه في أحسن معرض . وا كتست من فضله أزين ملبس . فعادت بعد الخمول نابهة وبعد الذبول ناضرة . وتمكنت من بر والدها فنوهت بذكره . وقدرت على قضاء حق صاحبها فرفعت بقدره . وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم

ان الفضل له آثار ظاهرة وشواهد باقية . لايتناولها تنقيص بالاستحقار ولازراية واستصغار

بنقصك أهل الفضل بان لنا انك منقوص ومفضول

فالكتابة متى كانت خالية من علم يستفاد أو حكمة ترتاد . أو رأى صائب . أو نسج بديع رائق فلا حظ لها من القبول . وانما تعد من قبيل الفضول . أما اذا كانت هجراً وفحشاً فنصيبها الرد والامتهان . ولصاحبها المقت والشنآن

واليك ما اشتملت عليه تلك الرسالة من النقائص الفادحة والغباوة :

أولاً ـ الفاظ الشتم والاختلاق وطعن الاعراض . وضخامة الالقاب والبهتان . ولا أعظم فرية من قوله (تفضيل علومهم على القرآن) ودعوى نكران سد ياجوج وانكار هذا الجنس وقد رأيت ما فيه

ثانياً ـ الاستدلال بما هو حجة على نفسه لو كان يعقل كقوله نقلا (ياأيها الكفلاء تعاهدوا الخ . اجتمعت كلمة قادة العقلاء الخ) وكقوله تعالى «ولمن انتصر بعد ظلمه» الآية وقوله عليه الصلاة والسلام « انما داع دعا الى ضلالة فاتبع كان عليه مثل أوزار من اتبعه » الحديث ولا أضل ممن يدعو الى نبذ العلم والرضى بالجهالة

ثالثاً ـ تناقض الكلام . فهو أخرق من ناقضة غزلها . بينما هو يذم الجغرافيا والهندسة وحوادث الجو وغيرها من العلوم ويعبر عنها بالعلوم المذمومة اذا هو يقول نقلا ورب قائل يقول ان بعض جماعات الامة الاسلامية في أشد الاحتياج الى تقدم الصناعة والزراعة والبعض في حاجة الى تقدم الفنون والعلوم المناسبة للعصر الحاضر الخ ثم ذم طريقة العصر في التعليم بقوله : (ما أنكرنا عليهم الا الاسلوب الذي اخترعوه) مع انه لا يوجد اسلوب غير الطريقة النظامية . ثم قال مناضلا عن نفسه (وادعاء

هذا .. .. .. انكاره التعلم على الاسلوب المصري مجازفة)

رابعاً — ضعف التأليف ورداءة التعبير كالتكرار الممل لغير فائدة . وتتابع الاضافات مثل (القاء بذر فتنة شعوب وطنهم) ومثل (مقالة ألقاها — وانشاء الشقاشق الهدرية — والتيس النطوح وأمته الوطنية) وكثير من هذه السخافات التي يمجها السمع قبل الذوق

خامساً — الخروج عن الأساليب العربية تارة باستعمال غير المشهور بين أهل العلم كاتيان النكرة من المضاف له بدون شرط من شروطه . ونعت النكرة بالمعرفة مع وجوب التطابق . ولا يصح القطع لعدم تعين المنعوت وتعدد النعوت وتارة بما ليس بصحيح مثل يأخذون عليهم وصوابه يأخذون منهم . وقيامهم عليهم وصوابه قيامهم بهم فينجر ذلك الى تفرق كلمة الامة صوابه فيجر . وتصغير توفيف صوابه تحقير الخ لكن ليس الكريم من استقصى

سادساً — ارتكاب مفاسد لغوية . مثل واقدها . وصوابه موقدها لان وقد يتعدى بالهمزة كقوله تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله) ومثل يورث لهم صوابه يورثهم

(كل من يدعي بما ليس فيه   كذبته شواهد الامتحان)

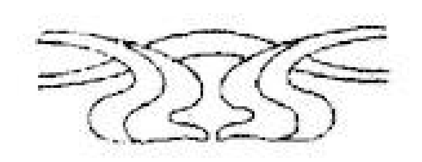
ثم ما ذا يرى في تلك الكبائر من الشتم الطعن في العرض بالظن

والكذب . أهي طاعة ؟ فالله لا يعبد بالشتم ومن تقرب الى الله بالمعصية كفر ، لما فيه من الاستخفاف بالمولى عز شأنه . أم معصية ؟ فتعمد ارتكابها ففي كلا الحالتين من الخاسرين

كم رأينا من مأساة بما كسبت ايدي الذين أجرموا وتجرع الشعب من مضض العسف والجور وقاسى كثيرا لآلام الاضطهاد . وهناك من الذين نعدهم في زمرة المفكرين . وفي مقدمة المصلحين . يوجهون سهام الانتقاد المر الينا اذ قمنا الى ازهاق روح الفساد . ورفع الستار عن مخبآت ذوى الحيف والعناد . بعد ما بلغ السيل الزبا

ومن عجب الايام انى على الهدى الام وغيرى بالضلالة يحمد

فقد تبين الرشد من الغي . وانكشف الغطاء عما كان خفياً . فهل أنتم منتهون ؟



الخاتمة

لقد مرت على الشعب اطوار المحنة والبلاء وصنوف الارهاق ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وانتهز تلك الظروف العصيبة كل ذي كيد ، فطعن برمحه كيف شاء طعنة نجلاء فهل تركت هذه المحن في النفوس أثر الموعظة ؟

ان شعبنا كسائر شعوب الشرق له قوى ومواهب وانا لنأسف لضياعها وان استخدمت ففي يسير أولا يحسن استخدامها لفقدان المعارف . وانك لترى اناسا يرضون بالتافه وفي مقدرتهم أن يكونوا على أحسن حال بما منحهم الله من قوة الذكاء واستعداد النفس لاي عمل جليل . وقد رأينا الاوربي كيف يبذل قواه لان يكون على أكمل صفة من العلم والرفاهية والمجد وهو في بلاد غيره . ونحن نرى انفسنا كالغرباء في بلادنا نخشى تناول أحقر شيء وأيسره

لو وجدت هذه الطباع في شعب من الشعوب السائدة في العالم لما قامت لهم حضارة ولا شاهدنا منها تلك الآثار الباهرة والاعمال الفاخرة

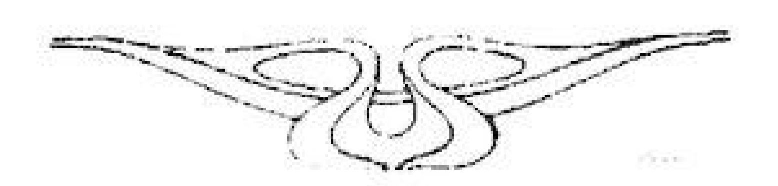
فلتتوجه الامة الى واجبها من العلوم والعمل ولتنبذ الجمود وأهله ولتتعظ بالشعوب الاجنبية في العمل الصالح لها ، ولا

يتسنى لنا والحالة كما نشاهد أن نسير مع أوهام وخيال ولا أن نعمل بفكرة الجامدين أمام سفور الحقيقة ، فانه لا حياة لشعب بدون المعارف واكتساب الكمال . فقد بين تعالى في كتابه الذي لا يمسه الا المطهرون مزية العالم على الجاهل آية لقوم يوقنون ، فقال عز شأنه « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون * انما يتذكر أولو الالباب » هذا ماندعو اليه ويدعو اليه الصادقون الذين شعارهم (الحق قبل كل شيء) لا ما يقول الغربيون : المصالح قبل كل شيء . كل يعمل على شاكلته

*

* *

هذا آخر ما تيسر لنا والحمد لله أولا وآخراً ، ونستغفره من الزلل ونستمنحه الهداية والتوفيق ، ونستعينه على خدمة العلم والدين ، لا نعبد الا اياه مخلصين له الدين * والحمد لله رب العالمين



فهرس

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة